شرح كتاب الإيمان من صحيح البخاري

للشيخ عبد العزيز بن محمد السعيد

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله وسلّم وبارك على عبد الله ورسوله نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد

ففي هذا اليوم – إنْ شاء الله – نقرأ كتابَ الإيمان مِن صحيح الإمام البخاريّ رحمه الله تعالى، وهذا الكتاب – كتاب الإيمان للإمام البخاريّ رحمه الله – قد أثنى عليه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه الإيمان، لأنّ الإمام البخاريّ مِن أئمة الحديث والسُّنَّة؛ قد نصر اللهُ به عقيدةَ أهل السُّنَّة والجماعة، سيرتُه في ذلك سيرةُ الأئمة والعلماء ممن كان قَبْلَه أو كان معه، ولهذا ذَكَرَ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله قال: "فإنّ كتاب الإيمان الذي افتتح به البخاريُّ الصحيح قرَّرَ فيه مذهبَ أهل السُّنَّة والجماعة وضمّنه الرَّدّ على المرجئة؛ فإنه كان مِن القائمين بنصر السُّنَّة والجماعة على مذهب الصحابة والتابعين"، وهذا الكتاب – وهو كتاب الإيمان – قد بَيَّنَ فيه الإمام البخاريّ بالأدلة مذهبَ أهل السُّنَّة في الإيمان، كما أنه ردَّ فيه على المخالفين – وإنْ لم يُسَمِّ أحدًا منهم إلّا ما جاء ذِكْرُه في حديث أبي وائل وهم المرجئة –، وجملة ما ذكره البخاريُّ في كتابه الإيمان يتعلق بأعظم مسألتين وقع فيهما منازعة الفِرَقِ لأهل السُّنَّة والجماعة وهما مسألة دخول العمل في الإيمان ومسألة زيادة الإيمان ونقصانه، فهاتان المسألتان مما وقع فيهما النزاعُ الكبير بين أهل السُّنَّة والجماعة ومخالفيهم، وصنَّفَ أهلُ السُّنَّة مصنفات خاصة في هذا الباب مِن أجل هاتين المسألتين على وجه الخصوص؛ وإنْ كانت ثمة رسائل تتبع هاتين المسألتين إلّا أنها ليستا كهاتين المسألتين، وقد صنف الإمام أحمد كتابًا في الإيمان وصنّف أبو بكر بن أبي شيبة وأبو عبيد القاسم بن سلّام ورسته عبد الرحمن بن عمر الزهري وابن مندة وغيرهم صنّفوا كتبًا في الإيمان؛ ذكروا فيها ما يتعلق بهذه المسألة؛ وإنْ كان أئمة السُّنَّة في هذا الباب ذكروا في مصنفاتهم ما يتعلق بهذه المسألة مِن مصنفات الجوامع والسُّنَن كصحيح الإمام البخاريّ وصحيح

مسلم فإنهما عقدًا كتابًا للإيمان، وكذلك جاء ذكرُ هذه المسائل في سنن أبي داود وفي سنن النسائي وفي سنن ابن ماجة وفي سنن الدارمي بها وغيرها مِن السُّنَن.

إذن كتاب الإيمان للإمام البخاريّ يركز على مسألتين: مسألة الزيادة في العمل ونقصانه، ومسألة دخول العمل في مسمى الإيمان، ولهذا الحافظ ابن حجر رحمه الله في شرح آخر باب مِن كتاب الإيمان – وهو باب الدين النصيحة – ذَكَرَ رحمه الله أنّ المؤلفَ في هذا الكتاب عُنِيَ بهاتين المسألتين أو بنى كتاب الإيمان على هذه المسألتين.

ومما يتعلق بالصحيح في هذه المسألة ما يتعلق بتراجم الإمام البخاريّ، الإمام البخاريّ مِن المعلوم عند العلماء رحمهم الله أنّ فقهه جعله في تراجمه، وإنْ كان له بعض الكلام اليسير في ثنايا الباب إلّا أنه رحمه الله جعل فقهه كله في تراجمه، والتوحيد والإيمان هو أعظم الفقه، وقد ذَكَرَ الحافظ ابن حجر رحمه الله في شرحه لباب "ما يقول عند دخول الخلاء" ذَكَرَ في شرحه في هذا الباب أنّ جمعًا مِن الأئمة ذكروا أنّ فقهَ الإمام البخاريّ رحمه الله في تراجمه، وهذا ظاهرٌ بَيّن ولهذا صنف أهل العلم مصنفات خاصة تشرح تراجم الإمام البخاريّ، وشُرّاح الحديث قد تناولوا هذه التراجم ومرادَ الإمام البخاريّ فيها واتفقوا على بعضها وحصل بينهم نزاع في بعضها واحتملت بعضُها وجوهًا عدّة.

قبل البدء في قراءة هذا الكتاب لابُدّ أنْ نُبيّن منهجَ أهل السُّنَّة والجماعة في مسألة الإيمان وأيضًا ما كانت عليه الفِرَق الباطلة وما تزال مِن كلامهم أو رأيهم في مسائل الإيمان.

أولًا: السلف رحمهم الله تعددت عبارات في تعريف الإيمان، وتعدد هذه العبارات لا يعني اختلافهم رحمهم الله، منهم مَن قال: إنَّ الإيمان قول وعمل، ومنهم مَن قال: الإيمان قول وعمل واعتقاد، ومنهم مَن قال: إنه قول وعمل ونية، ومنهم من قال: إنه قول وعمل ونية وسُنَّة، هكذا جاءت تعابير العلماء رحمهم الله، وكلها عائد إلى العبارة المشهورة عنهم بإطلاق وهي قولهم عن الإيمان إنه قول وعمل.

القول يشمل أمرين: يشمل قول اللسان وهو نطقه، ويشمل أيضًا قول القلب وهو اعتقاده: تصديقه ومعرفته، هذا مرادهم إذا قالوا: قول وعمل، يريدون بالقول: قول اللسان، ويريدون به الاعتقادات القلبية، وهي التصديق والمعرفة، والعمل يريدون به عَمَلَ القلب وهو إخلاصه وإرادته ومحبته وتوكله وخشيته إلى

غيرها مِن أعمال القلوب، ويريدون بذلك أيضًا عمل الجوارح، فكل هذه داخلة في الإيمان عند أهل السُّنَّة والجماعة، هكذا يقول أهل السُّنَّة والجماعة: الإيمان قول وعمل، القول قول اللسان، وقول القلب وهو اعتقاداته وإراداته، ويريدون مِن العمل عمل القلب وعمل الجوارح، وعلى هذا لا يجوز للإنسان أنْ يقول: إنّهم يريدون عمل القلب دون عمل الجوارح! ولا أنهم يريدون قول القلب دون قول اللسان، فهذا كله باطل.

إذن مذهب أهل السُّنَّة والجماعة في باب الإيمان مركبٌ مِن هذه الأشياء، والذين فصّلوا مِن أهل العلم منهم مَن قال: قول وعمل واعتقاد، وإنما احتاج بعض أهل العلم إلى إطلاق هذا اللفظ للبيان، فالمراد اعتقاد القلب وقول اللسان وعمل الجوارح وعمل القلب، والذين جاءوا بالنية يريدون بها الإخلاص، ثم مَن قال بالسُّنَّة يريدون بها الاتباع، أي أنه لا يتحقق الإيمانُ إلّا بالاتباع، لأنّ الإيمان اتباع، شرعة لأنّ الإيمان مُنزّل مِن عند الله تعالى؛ فهو شرع؛ والشرع لا يكون إلّا باتباع، والعمل - والإيمان عمل - والعمل لا يقبل إلّا بإخلاص، ولهذا ذَكَرَ العلماء رحمهم الله أنّ مَن قال أنّ القول دون العمل كفرٌ، بمعنى أنّ مَن قال: "أشهد أنْ لا إله إلّا الله، وأنّ محمدًا رسول الله" نطق ثم يدخله في الإيمان ولم يعمل! فهذا كفر بالله، لأنّ المنافقين كانوا يقولونها هذا! ومَن قال: إنَّ الإيمان قول وعمل بلا نية! فهو غير مخلص لله تعالى، سبيلُه سبيلُ أهل النفاق، والثالثة: مَن قال: إنه قول وعمل ونية ولكن لم يكن سُنّة! فهذا طريقة أهل البدع، إذن الذين يقولون: إنَّه قول دون عمل؛ هذا كفر بالله تعالى، ومَن قال: إنه قول وعمل بلا إخلاص فهو نفاق، ومَن قال: إنه قول وعمل وإخلاص بلا اتّباع فهو مبتدع ضالّ.

بعض العلماء رحمهم الله في مسألة العمل يذكر عملَ اللسان ويقول: إنَّ للسان عملًا، وعلى هذا إذا قال: قول وعمل يريد به قولَ اللسان الذي هو تحقيق التوحيد الذي يدخل به في الإسلام، وما زاد عنه مِن الأعمال - مِن الذكر والتسبيح والاستغفار وغيرها مما لا يُعمل إلّا باللسان - فهذا يعتبره مِن عمل اللسان، ويستدلون عليه بقول الله تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾[1] فسمى اللهُ تعالى قولهم عملًا، دلَّ ذلك على أنّ القول يطلق

(١) النساء: ١٠٨.

به عمل؛ والقول يكون باللسان، هذا الكلام يُنَبَّه عليه لأنّ بعض أهل العلم وأظنه الإمام أحمد رحمه الله لمّا ذكروا له أنّ قومًا يقولون: إنَّ الإيمان قول وعمل اللسان – هو مِن المرجئة – أنكر ذلك، – هذا شَبَّاب بن سوّار – أنكر ذلك الإمام أحمد إنكارًا شديدًا لأنهم لا يريدون العمل الذي يريده أهلُ السُّنَّة! وإنما يريدون بقولهم قول وعمل الذي هو عمل اللسان فقط دون عمل الجوارح! يعني قَصَرُوه على اللسان فقط دون عمل الجوارح وعمل القلب، وهذا مخالف لأهل السُّنَّة والجماعة.

الفِرَقُ المنحرفة في هذا الباب على الإجمال طائفتان:

طائفة خالفت أهل السُّنَّة في باب الإيمان؛ فجعلتِ الإيمانَ شيئًا واحدًا، إما أنْ يبقى كله وإما أنْ يزول كله! وهؤلاء هم الخوارج والمعتزلة، وبنوا على ذلك المسألة المتعلقة بمرتكب الكبيرة، فالخوارج كفّروه بناءً على هذا الأصل الفاسد؛ فقالوا: إما انْ يكون مؤمنًا وإما أنْ يكون كافرًا؛ لأنّ الإيمان عندهم لا يتبعض ولا يتجزأ، إما أنْ يبقى كله وإما أنْ يزول كله، والطائفة الثانية: هي المعتزلة، الذين يسلبون عنه اسمَ الإيمان ويقولون: في الدنيا ليس بمؤمن ولا فاسق ولكنه في الآخرة مِن المخلدين في النار! فهم يلتقون مع الخوارج في مسألة الخلود في النار، وأما الاسم فهم لا يقولون: هو مؤمن ولا كافر، والخوارج يقطعون بأنه كافر، وسيأتي إنْ شاء الله تعالى في تبويبات المؤلف وما أورده مِن الأدلة الرَّدّ على هذه الطائفة.

والطائفة الثالثة: هم طائفة الإرجاء، وهذه الطائفة على أقسام، منهم مَن يرى أنّ الإيمان هو المعرفة والتصديق، وهذا قول الجهمية، وعلى هذا يلزمهم أنْ يكون أبو طالب مؤمنًا؛ لأنه كان قاطعًا ومصدِّقًا بأنّ محمدًا صلّى الله عليه وسلّم نبيٌّ؛ ولكن منعه مخافةُ مسبّةِ قومه، والطائفة الثانية الذين قالوا: إنَّ الإيمان هو الإقرار باللسان فقط! وهذه طائفة الكرَّامية – اتباع محمد بن كرَّام – وهؤلاء غلاة في الإرجاء، يقولون: يكفي أنْ يُقِرَّ بلسانه دون قلبه ولا عمله! والطائفة الثالثة قالوا: إنَّ الإيمانَ هو الإقرارُ مع تصديق القلب، يعني الإقرار باللسان مع تصديق القلب، وهؤلاء أتباع عبد الله بن كُلَّاب، وطائفة قالوا: إنَّ الإيمان قول وعمل؛ ولكنهم جعلوا العملَ خاصًا بالقلب دون الجوارح! هذا مجمل مخالفة أهل البدع لأهل السُّنَّة في هذا الباب، والمسألتان الكبيرتان وإنْ كانت هناك أيضًا مسألة مهمة قد ذكرها أيضًا البخاريّ وبوَّب عليها وهي ما يتعلق بحكم مرتكب الكبيرة، هذه مسائل ثلاث مهمة جدًا في هذه المسألة، مَن عرف مذهبَ أهل السُّنَّة

والجماعة في باب الإيمان وعرف هذه المذاهب المنحلّة؛ فإنه يدرك مرادَ الإمام البخاريّ رحمه الله مِن تبويبه في هذا الكتاب، هذه المقدمة ذكرناها حتى يكون كلام البخاريّ رحمه الله تعالى واضحًا.

والآن نبدأ بقراءة كتاب الإيمان للإمام البخاريّ رحمه الله

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين؛ نبيّنا محمد عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم

اللهم اغفر لنا ولشيخنا ولوالديه والحاضرين ولجميع المسلمين

قال الإمام أبو عبد الله؛ محمد بن إسماعيل البخاريّ في كتابه "الجامع الصحيح":

كِتَابُ الإِيمَانِ

بَابُ الإِيْمَانِ وقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ».

وَهُوَ قَوْلٌ وَفِعْلٌ، وَيَزِيدُ وَيَنْقُصُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾(١)، ﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾(٢)، ﴿وَيَزِيدُ اللهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾(٣)، ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾(٤)، وَقَوْلُهُ: ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾(٥)، وَقَوْلُهُ: ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾(٦)، وَقَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾(٧)، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾(٨)، وَالحُبُّ فِي اللهِ وَالبُغْضُ فِي اللهِ مِنَ الإِيمَانِ، " وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ إِلَى عَدِيِّ بْنِ عَدِيٍّ: «إِنَّ لِلْإِيمَانِ فَرَائِضَ، وَشَرَائِعَ، وَحُدُودًا، وَسُنَنًا، فَمَنِ اسْتَكْمَلَهَا اسْتَكْمَلَ الإِيمَانَ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَكْمِلْهَا لَمْ يَسْتَكْمِلِ الإِيمَانَ، فَإِنْ أَعِشْ فَسَأُبَيِّنُهَا لَكُمْ حَتَّى تَعْمَلُوا بِهَا، وَإِنْ أَمُتْ فَمَا أَنَا عَلَى صُحْبَتِكُمْ بِحَرِيصٍ»، وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ

---

(١) الفتح: ٤.
(٢) الكهف: ١٣.
(٣) مريم: ٧٦.
(٤) محمد: ١٧.
(٥) المدثر: ٣١.
(٦) التوبة: ١٢٤.
(٧) آل عمران: ١٧٣.
(٨) الأحزاب: ٢٢.

قَلْبِي﴾[1]، وَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: «اجْلِسْ بِنَا نُؤْمِنْ سَاعَةً»، وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: «اليَقِينُ الإِيمَانُ كُلُّهُ»، وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: «لاَ يَبْلُغُ العَبْدُ حَقِيقَةَ التَّقْوَى حَتَّى يَدَعَ مَا حَاكَ فِي الصَّدْرِ»، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: «شَرَعَ لَكُمْ» أَوْصَيْنَاكَ يَا مُحَمَّدُ وَإِيَّاهُ دِينًا وَاحِدًا، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا» سَبِيلًا وَسُنَّةً.

.....

بسم الله الرحمن الرحيم

قال المؤلف رحمة الله عليه: "كتاب الإيمان وقول النَّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم: بني الإسلام على خمس" وجاء في بعض النسخ "باب الإيمان" إلّا أنّ الذي استظهره كثير مِن أهل العلم أنّ هذا زائد في هذا المقام لأنه قال قبله "كتاب الإيمان" وقوله: قول النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: "بني الإسلام على خمس" هذا حديث مرفوع سيأتي إنْ شاء الله وَصْلُ المؤلف رحمه الله له.

قال: "وهو قول وفعل" هو الآن لو تلاحظون ذَكَرَ وقال: "كتاب الإيمان" ثم قال: "بني الإسلام"، ثم قال: "وهو قول وفعل" ما هو الذي هو قول وفعل؟ هو الإيمان، قد يقول قائل: هو قال: "بني الإسلام"! فيقال له: إنَّ الإيمان البخاريّ ممن لا يرى فرقًا بين الإسلام والإيمان بل يراهما معنى واحد، وهذا مذهب عند طائفة مِن أهل السُّنَّة والجماعة، وقد نصره محمدُ بن نصر في كتابه "تعظيم قَدْرِ الصلاة" ونصَّ على أنّ الإمام البخاريّ يرى أنه لا فَرْقَ بين الإيمان والإسلام غيرُ واحد مِن أهل العلم كشيخ الإسلام ابن تيمية والحافظ ابن رجب وابن حجر وجماعة، نصّوا على أنّ الإمام البخاريّ رحمه الله يرى أنّ الإيمان والإسلام معناهما واحد، إذن إذا قال: "وهو قول وفعل" أي: أنّ الإيمان قول وفعل، والإيمان هو الإسلام؛ والإسلام هو الإيمان – عند الإمام البخاريّ رحمه الله –، وأيضًا هذا القول – وهو تساوي الإسلام والإيمان – حكاه بعضهم كابن نصر والحافظ ابن عبد البرّ عن كثير مِن العلماء المتقدمين، بل نصوا على أنّ أكثر العلماء على هذا القول؛ إلّا أنّ هذا القول منهما قد اعترضه غير واحد مِن أهل التحقيق كابن تيمية وابن رجب وغيرهما وذكروا أنّ غالب أهل العلم أو أكثر السلف على أنّ الإيمان له معنى والإسلام له معنى، لا شكّ أنهما يجتمعان ويفترقان، بمعنى أنه إذا اجتمع الإسلام والإيمان فُسِّرَ الإيمانُ بما يتعلق بأعمال القلوب وفُسِّرَ

(١) البقرة: ٢٦٠.

الإسلامُ بالأعمال الظاهرة على حديث جبريل عليه السلام، لأنه لمّا سأل النَّبيَّ صلّى الله عليه وسلّم عن الإيمان قال: "أنْ تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر؛ وتؤمن بالقَدَر خيره وشره" فجعل الإيمان متعلقًا بالأعمال الباطنة، ولمّا سأله عن الإسلام ذَكَرَ له الأركان الخمسة وهي أعمال ظاهرة، أما إذا افترقا فيُفَسَّرُ الإسلامُ بالإيمان والإيمانُ بالإسلام، ولهذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ﴾(١) يُراد به الإسلام الذي هو بمعنى الإيمان، وعلى كلٍّ لا يمكن أنْ يُحكم على أحد بأنه مسلم - بمعنى الإسلام الشرعي لا الاستسلام الظاهر - إلّا ومعه إيمان، ولا يمكن أنْ يكون هناك مؤمن إلّا ومعه شيء مِن الإسلام، وهذا مما قطعَ به السلفُ رحمهم الله، يعني أنّ الإسلام لا يستغني عن الإيمان؛ وأنّ الإيمان لا يسغني عن الإسلام، إذن قوله "بني الإسلام على خمس" وهو قول وفعل، يعني أنّ الإيمان قول وفعل، الفعل هنا - عند بعض العلماء - هو بمعنى العمل، وهذا ظاهر مِن مقالة الإمام البخاريّ رحمه الله لمّا ذَكَرَ أنه أدرك مِن ألف مِن علماء الأنصار يقولون أنّ الإيمان قول وعمل، وهو يريد بالفعل هنا العمل، ولهذا جاء في بعض نسخ البخاريّ "قول وعمل"، بعض العلماء يجعل الفعل هو العمل وبعض العلماء يفرق بينهما، يقول: الفعل أعمّ مِن العمل؛ لأنّ الفعل يشمل القول وعمل الجوارح؛ وأما العمل فهو مختصّ بعمل الجوارح، لكنّ الذي ينبغي أنْ نفهم هنا أنه قال: "قول وفعل" يريد أنّ الإيمان قول وعمل.

ذَكَرَ بعضُ العلماء قال: إنّ الإمام البخاريّ لم يذكرِ الاعتقاد لأنه متفق عليه! طبعًا هذا الكلام غير صحيح، ولكن لو عرف معنى القول عند السلف وما ورد عنهم في هذا الباب مما يفسره لعرف أنّ قولهم قول يريدون به اعتقاد القلب وقول اللسان كما تقدم بيانُه.

"ويزيد وينقص" انتبهوا إذن قال: "قول وعمل يزيد وينقص" وقد تقدم أنّ الإمام البخاريّ ركّز على هاتين القضيتين، قضية كون العمل داخل في الإيمان، وكون الإيمان يزيد وينقص، وقوله: "يزيد وينقص" أي أنّ الإيمان يزيد وينقص، وسيعقد له الإمام البخاريّ رحمه الله "باب زيادة الإيمان ونقصانه" على ما سيأتي إنْ شاء الله تعالى، وبعض العلماء رحمهم الله يعبر عن الزيادة والنقصان بالتفاضل، كما عبّر بذلك ابن المبارك رحمه الله.

---

(١) آل عمران: ١٩.

ثم ذَكَرَ جملة مِن الآيات الدالة على زيادة الإيمان، هو يقول: "الإيمان يزيد وينقص" ولم يأت بدليل على نقصان الإيمان! يعني لم يأت بنص على نقصان الإيمان! لكن عند العلماء رحمهم الله أنّ ما كان قابلًا للزيادة كان قابلًا للنقصان، فالنص - وإنْ لم يكن صريحًا في الآيات - إلّا أنه معروف بمقابله وهو الزيادة، وقد نَصَّ على ذلك جماعةٌ مِن العلماء كابن عيينة رحمه الله - كما خرجه عنه الآجريّ في الشريعة - وكذلك الإمام أحمد - كما نقله عنه الخلال في السُّنَّة - وكذلك أيضًا البيهقي قاله في كتابي الاعتقاد وشعب الإيمان وكذلك ابن بطال في شرح البخاريّ وابن حزم في الفِصَل والحافظ أيضًا ابن حجر فيما شرحه وكذلك الكرماني وغيرهم، ذكروا أنّ ما كان قابلًا للزيادة كان قابلًا للنقصان، فإذا أثبتنا أنّ الإيمان يزيد معناه أنه ينقص، وهذا محل إجماع عند سلف هذه الأمة خلافًا لِمن أنكر زيادة الإيمان ونقصانه، وهذه الآيات ظاهرة وواضحة.

ثم ذَكَرَ قال: "والحبّ في الله والبغض في الله مِن الإيمان" هذا جاء في حديث عند أبي داود مِن رواية أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه ولكنه حديث فيه ضعْف، وقد رواه ابن أبي شيبة موقوفًا، وقد جاءت له شواهد أخرى بمعناه، وقد ثبت عن النَّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم - كما سيأتي -: "ثلاث مَن كنَّ فيه وجد بهنَّ حلاوة الإيمان" وفيه "أنْ يُحب المرء لا يحبه إلّا لله" وهو مِن شواهد هذا الحديث، وقد نبّه بعضُ العلماء على أنّ الإمامَ البخاريّ رحمه الله لمّا كان هذا الحديث ليس على شرطه أو لم يثبت ذَكَرَ هذا اللفظ ولم يسنده إلى النَّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم، والبغض والحب يزيد وينقص، وإذا نظرت إلى الحبّ والبغض وجدتَه مِن أعمال القلوب، إذن الإيمان يزيد وينقص لأنّ الآيات المتقدمة: ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾(١)، ﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾(٢)، ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾(٣) إلى آخره هذه فيه اطلاق زيادة الإيمان؛ فيشمل ذلك الزيادة القلبية وزيادته بالطاعات، ويشمل أيضًا النقص القلبي والنقص في الأعمال، وهنا "والحبّ في الله والبغض في الله" يتعلق بما كان بالقلب، أي أنَّ الإيمان يزيد وينقص حتى ما كان في القلب، وهذا فيه رَدٌّ على الذين يقولون: إنَّ الإيمان شيء واحد! إنَّ الإيمان الذي في القلب شيء واحد! لا يتفاوت الناس فيه؛ فهم في أصله سواء! فإيمانك كإيمان جبريل وميكائيل وكإيمان النَّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم يقول: لا يختلف! وإنما الاختلاف

(١) الفتح: ٤.
(٢) الكهف: ١٣.
(٣) مريم: ٧٦.

في الأعمال! فلمّا قال: "والحبّ في الله والبغض في الله" دلَّ على أنّ الأعمال القلبية مِن الإيمان؛ وأنّ الزيادة والنقصان يحصلان في الإيمان القلبي كما يحصلان في أعمال الجوارح، إذن هنا "بني الإسلام على خمس" و﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾(١) وهو قول وفعل وما تضمنته هذه الآيات دالّ على بيان حقيقة الإيمان عند أهل السُّنَّة والجماعة، إذن هو كأنه يُبيّن حقيقة الإيمان عند أهل السُّنَّة والجماعة، لأنَّ الإيمان في أصله مِن الأمن وهو الإقرار والطمأنينة، ومنهم مَن يقول: هو التصديق، والذي يقول مِن أهل السُّنَّة هو التصديق لا يعني ما يقول به أهلُ البدع مِن أنَّه مجرد التصديق! ولكنه هو تصديقٌ خاص مُقَيّد بالقيود الشرعية التي جاءت في الإيمان كبقية الحقائق التي تَرِدُ وتُحمل على معناها اللغوي لكنها تُقيّد بالقيود الشرعية التي جاءت في النصوص، وكونُه مِن الأمن هذا هو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وقد أطال في بيان الفَرْق بين الإيمان والتصديق وأنَّهما غير مترادفين في كتابه "الإيمان".

قال: "وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن عدي" عدي بن عدي بن أبي عميرة الكندي، وكان واليًا لعمر بن عبد العزيز على بلاد الجزيرة والموصل مِن بلاد العراق وتوفي سَنَة مائة وعشرين للهجرة، كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن عدي، هذه الوصية التي أمامنا: "إنَّ للإيمان فرائض وشرائع وحدودًا وسننًا" الفرائض هنا فسَّرها بعضُهم الفرائضَ بالأصول والشرائعَ بالصفات، فالصلاة مثلًا أصل؛ واستقبال القبلة صفة، عندنا مثلًا الحج أصل؛ والمبيت بمزدلفة صفة، عندنا مثلًا القذف أصل - حكم القذف أصل - لكنّ الجلد ثمانون جلدة صفة، وهكذا البقية، وبعضهم فسَّرَ الفرائض بأنها الأعمال المفروضة، وفسَّرَ الشرائعَ بأنها العقائد الدينية، ولو قيل بالعكس لكان أيضًا هو الأقوى، وأما البقية وهي الحدود وهي ما نهى الله عزّ وجلّ عنه والسُّنَن وهي ما شرعه الله عزّ وجلّ لا على جهة الإلزام لعباده بل هي مِن باب الفضائل والمندوبات هذا الأثر الذي ذكره الإمامُ البخاريّ خَرَّجَه الإمام ابن أبي شيبة في "الإيمان" وكذلك الإمام أحمد خَرّجَه له في "الإيمان" وأيضًا خَرَّجَه الخلال.

(١) الفتح: ٤.

وقال إبراهيم: ﴿وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[1] يعني به الخليل عليه السلام في هذه الآية، قال: ﴿وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ ويراد به زيادة الإيمان، ولهذا جاء عن سعيد بن جبير قال: "ليزيد يقيني"، وفي بعض الروايات عنه "يزيد إيماني" وهذا المنقول عن سعيد بن جبير وافقه عليه عدد مِن السلف كمجاهد والنخعي والضحاك وقتادة ذكروا مثلما ذكره سعيد بن جبير ﴿وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ أي "ليزداد يقيني أو ليزداد إيماني"، فكونه يزداد الإيمان دليل على أنه ينقص، وهذا ظاهر.

"وقال معاذ: اجلس بنا نؤمن ساعة" قوله "نؤمن ساعة" يعني نذْكَرَ الله كما جاء في الروايات، وهذا الأثر خَرَّجَه ابن أبي شيبة وأبو عبيد والخلّال وصححه الحافظ في التغليق موقوفًا على معاذ بن جبل رضي الله عنه، فقوله "اجلس بنا نؤمن ساعة" وهذا الجلوس كان لِذِكْرِ الله، وهذا دليل على أنّ الأعمال تزيد مِن الإيمان؛ وأنّ الزيادة كما تقع في القلب تقع أيضًا في العمل.

"وقال ابن مسعود رضي الله عنه: اليقين الإيمان كله" هذا رواه ابن أبي خيثمة في تاريخه وأيضًا رواه الطبراني، وأوله "الصبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله"، والمراد باليقين هنا العلمُ الذي لا شكّ فيه، لأنّ العلم الذي لا شكّ فيه يأتي مِن جهتين: مِن جهة علم اليقين أو عين اليقين، فالأدلة إذا تظاهرت – سواء كانت عقلية أو نقلية – أورثتِ العلمَ اليقيني، وكذلك يقع اليقين بالعين وهي المشاهدة، فقوله: "اليقين الإيمان كله" ليس معناه أنّ الإيمان هو ما وقع في القلب فحسب! ولكن لهذا معنى ذكره العلماءُ رحمهم الله وهو أنّ الإنسان إذا بلغ مِن اليقين ما بلغ؛ فإنّ إيمانه يكون بمبلغ يقينه، لأنّ مَن عرف الله كان أشدَّ له خشية وعبادة، كما قال النَّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم: "أنا أعلمكم بالله وأتقاكم له أو وأشدكم خشية له" إذن كأنه يقول: إنَّ الإيمان تابع لليقين، فأعمال العباد بحسب يقينهم، فمَن كان ذا يقين؛ فإنّ أعماله وإيمانه تتبع هذا اليقين، وبحسب ضعف هذا اليقين يضعف الإيمان – لا في الاعتقاد ولا في العمل –، أو أنّ المراد أنّ اليقين هو أساس الإيمان على معنى أنّ مَن لم يكن موقنًا بقلبه؛ فإنّ أعمالَه لا قيمة لها ولا اعتبار لها في الشرع، إذن اليقين هو أساس الإيمان.

---

(١) البقرة: ٢٦٠.

وقال ابن عمر رضي الله عنه: "لا يبلغ العبد حقيقة التقوى حتى يدع ما حاك بالصدر" هذا الأثر عن ابن عمر رضي الله عنه نَصَّ الحافظ ابن رجب رحمه الله على أنه لم يقف عليه مِن حديث ابن عمر، ونصَّ أيضًا الحافظ في الفتح وفي التغليق على أنّ لم يقف عليه موصولًا عن ابن عمر رضي الله عنه؛ وإنما رأوه في البخاريّ هكذا، وهذا الأثر ذكره الإمام البخاريّ رحمه الله – وإنْ كان يتعلق بالتقوى – إلّا أنّ خصال التقوى هي خصال الإيمان، وأنت لو رأيتَ ما ذكره اللهُ تعالى في كتابه مفسرًا بالتقوى لرأيته منطبقًا على ما ذكره الله تعالى مِن تفصيله وبيانه للإيمان، وسيأتي إنْ شاء الله قولُه تعالى في الباب الثاني: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾(١) وأنه دالٌّ على هذا.

وقال مجاهد: "شرع لكم: أوصيناك يا محمد وإياه دينًا" يعني به قولَه تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾(٢) قال: "أوصيناك يا محمد" يقول مجاهد في تفسيرها "أوصيناك يا محمد وإياه" أي أوصيناك يا محمد ونوحًا دينًا واحدًا، وهذا الأثر وصله عبد بن حُميد وابن جرير وابن المنذر في تفاسيرهم وصححه الحافظ ابن حجر في التغليق، والمراد – والله أعلم – بمراد البخاريّ رحمه الله لهذا هو أنّ ما جاءت به النصوص في كتاب الله وسُنَّةِ نبيّه صلّى الله عليه وسلّم مِن بيانِ الإيمان هو الشرع الذي جاءت به رسلُ الله عليهم الصلاة والسلام على معنى أنهم كلهم متفقون على هذه الحقيقة – وهي حقيقة الإيمان –.

وقال ابن عباس رضي الله عنه: "شرعة ومنهاجًا" يعني في قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾(٣) أي لكل أمة مِن الأمم جعل اللهُ لهم شرعة ومنهاجًا، قال ابن عباس: "سبيلًا وسُنَّة" هذا الأثر خَرَّجَه عبد الرزاق والطبري وعبد بن حُميد في تفاسيرهم، وقوله "سبيلًا وسُنَّة" جاءت في بعضها "سبيلًا وسُنَّة" وجاءت في بعضها "سُنَّةً وسبيلًا"، ورجح الحافظ في التفسير أنّ الصواب "سبيلًا وسُنَّة" كما ذكره الإمام البخاريّ رحمه الله، والسبيل هي الطريق الواضحة المسلوك، والشرعة هي السُّنَن، ولهذا ابن القيم رحمه الله يقول: "إنَّ السبيل هو الطريق الواضحة، والشرعة هي تفاصيل ذلك السبيل"، ومِن العلماء مَن

(١) البقرة: ١٧٧.
(٢) الشورى: ١٣.
(٣) المائدة: ٤٨.

يرى أنّ الشرعة هي المدخل إلى ذلك السبيل أخذًا مِن مَشْرَعَةِ الماء وهي أول ما يشرب، إذن الشاهد مِن قوله "شرعة ومنهاجًا" أنّ هناك شرائع، هذه الشرائع توصل إلى الطريق، الشرائع هي السُّنَن، وعلى هذا كأنّ الإنسانَ إذا ازداد مِن السُّنَن ازداد استمساكًا بالسبيل - الذي هو الإيمان -؛ فدَلَّ ذلك على أنّ شرائعَ الإيمان وسُنَنَه مِن الإيمان.

بَابٌ دُعَاؤُكُمْ إِيمَانُكُمْ

حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِّ بْنُ مُوسَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ عِكْرِمَةَ بْنِ خَالِدٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُمَا؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُّ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِّ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ».

.....

"بابٌ: دعاؤكم إيمانكم" هذا في الحقيقة اختلفت نسخُ البخاريّ فيه، بعضها "باب دعاؤكم إيمانكم" وبعضها مباشرة "دعاؤكم وإيمانكم" وهي مرتبطة بما أورده المؤلف في الباب الذي قَبْلَ هذا، يعني أنّ ابن عباس قال: "شرعة ومنهاجًا: سبيلًا وسُنَّة" وقال: "دعاؤكم إيمانكم"، وقد ذَكَرَ الحافظ ابن حجر أنّ مِن عادات البخاريّ رحمه الله أنه يحذف حرف العطف عندما ينقل التفاسير، يعني "دعاؤكم إيمانكم".

وقوله: "دعاؤكم إيمانكم" مأخوذة مِن قول الله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾[1] أي أنّ الله تعالى لا يكترث بكم لولا دعاؤكم، وهذا الدعاء فُسِّر بأنّه الإيمان، لأنّ الدعاء نوعان: دعاء مسألةٍ، ودعاء طلب، فُسِّر الدعاء هنا بأنّه الطاعات، أي: لولا طاعاتكم، والطاعات إيمان، لأنّ الإنسان تارةً يدعو ربه جل وعلا بالسؤال - اللهم اغفر لي، اللهم ارحمني -، وتارةً يدعوه بأعماله الصالحات، لأنّها هي مُحَصِّلُ دعائه، لأنّ الإنسان إذا دعا بالمغفرة دعاؤه ذلك هو يوافق ما إذا تقرب إلى ربه بصلاةٍ وحجٍ وزكاةٍ لأنّه يرجو بِرَّها ومغفرةَ الله تعالى له، فقوله "دعاؤكم إيمانكم" يعني به أنّ ابن عباس رضي الله عنه فَسَّر الدعاء في الآية

---

(١) الفرقان: ٧٧.

بالإيمان، والمراد بالدعاء في الآيات الطاعات؛ فدلّ ذلك على أنَّ الأعمال إيمانٌ، وفي هذا رَدٌّ على الذين يُخْرِجُون الأعمال عن مسمى الإيمان.

قوله هنا: عن عبيد الله بن موسى هو ابن باذام العبسي وهو شيخ البخاريّ وقد روى عنه كثيرًا، وحنظلة بن أبي سفيان الجمحي المكي، وعكرمة هنا هو ابن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة، وكل هؤلاء قد خُرِّج عنهم في الصحيحين وفي الكتب السِّتَّة، وقد أورد الإمام البخاريّ هذا الحديث وهو: "بني الإسلام على خمس" وهو الذي جعله بابًا "باب بني الإسلام على خمس" فذكره هناك معلقًا وذكره هنا موصولًا، وإيرادُ البخاريّ رحمه الله لهذا الحديث يَدُلُّ على أنَّه يرى أنَّ الإسلام والإيمان بمعنىً واحد.

بَابُ أُمُورِ الإِيمَانِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ البِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ، وَلَكِنَّ البِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَالمَلاَئِكَةِ وَالكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى المَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي القُرْبَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ، وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ، وَأَقَامَ الصَّلاَةَ، وَآتَى الزَّكَاةَ، وَالمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا، وَالصَّابِرِينَ فِي البَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ البَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ المُتَّقُونَ﴾(١)، وَقَوْلِهِ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ المُؤْمِنُونَ﴾(٢) الآيَةَ.

- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الجُعْفِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ العَقَدِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بِلاَلٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ قَالَ: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ».

.....

هذا "باب أمور الإيمان" وفي بعض النسخ "باب أمرِ الإيمان" وقد بَوَّبَ ابن مندة رحمه الله على هاتين الآيتين والحديث الذي ذكره المؤلف فقال: "ذِكْرُ ما يَدُلُّ على أنَّ اسم الإيمان يقع على غير ما ذَكَرَ جبريل عليه

---

(١) البقرة: ١٧٧.

(٢) المؤمنون: ١.

الصّلاة والسّلام؛ وأنَّ شهادة أنْ لا إله إلّا الله وأنَّ محمدًا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحجَّ البيت أصلُ الإيمان وأساسُه؛ وأنَّه بضعٌ وستون شعبة" هكذا بَوَّبَ ابن مندة، وبهذا يتضح مرادُ الإمام البخاريّ رحمه الله في باب أمور الإيمان، معنى ذلك أنَّ الإمام البخاريّ يرى أنَّ الإيمان ليس مقصورًا على القلب فقط! وإنما الإيمان له متعلَّقات، شيءٌ متعلق بالقلب، وشيءٌ متعلقٌ في الجوارح، وشيءٌ متعلقٌ باللسان.

الآية الأولى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾[1] فهذه أعمال قلوب وهي الواردة في حديث جبرائيل عليه السلام: ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ﴾[2] إلى آخره هذه أعمال الجوارح، وقوله: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾[3] هذه من أعمال القلوب، قال: تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[4] فدلَّ على أنَّ الإيمانَ يقع حينما يكون بهذه الأشياء المذكورة، وقول الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾[5] إلى آخرها، هذه الآيات أيضًا تدل على ما دلت عليه الآية الأخرى، وأيضًا فيها أنَّ الترك مِن الإيمان، فالإيمان كما أنَّه أفعال هو أيضًا تروك، يعني بمعنى أنَّ الوقوف عند الحدود – كما قال عمر بن عبد العزيز: "فرائض وشرائع وحدود" – يعني يقف عندها الإنسان ولا ينتهكها؛ هذا مِن الإيمان، وثم أورد حديث "الإيمان بضعٌ وستون شعبة، والحياء شُعبةٌ مِن الإيمان" هذا الحديث طبعًا له روايات – سواء مِن رواية سليمان بن بلال أو من رواية سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن جده – جاء في بعضها "بضعٌ وسبعون" وبعضها "بضع وستون" وفي بعضها على الشك "بضعٌ وسبعون أو بضعٌ وستون" وهذا الاختلاف لا يضرّ في دلالة هذا الحديث لأنَّ المقصود به أنَّ الإيمان ليس هو الوارد في

(١) البقرة: ١٧٧.
(٢) البقرة: ١٧٧.
(٣) البقرة: ١٧٧.
(٤) البقرة: ١٧٧.
(٥) المؤمنون: ١ – ٦.

حديث جبريل فقط! وأنّ الإيمان ليس هو مجرد التصديق! ولكنّ الإيمان شُعبٌ متعددة، وكما أنّ الإيمان شعب متعددة يعني إذا كان الشيء شعبًا متعددة وكان تعلق الشيء بأجزائه دلَّ ذلك على أنه يزيد وينقص كما سيأتي عند قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾(١)، إذن قوله "الإيمان بضع وستون شعبة، والحياء شعبة مِن الإيمان" هذه الشعب حاول بعض أهل العلم أنْ يجمعها، وأُلِّفَت في ذلك مصنفات كشعب الإيمان للحَلِيمي وشعب الإيمان للبيهقي - هذه الشعب التي ذكرها النَّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم - واختلفوا في طريقة تصنيفها، الشاهد أنّ النَّبيَّ صلّى الله عليه وسلّم بَيَّنَ أنّ الإيمان شعبٌ، وهذا دليل على أنّ الإيمان يزيد وينقص، لأنه لو كان أصلًا واحدًا لَمَا صح أنْ يُطلق عليه النَّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم أنه شعبٌ! وفي هذا رَدٌّ على الخوارج والمعتزلة الذين يقولون بأنّ الإيمان أصل واحد! نقول لهم: إنَّ النَّبيَّ صلّى الله عليه وسلّم ذَكَرَ أنّ الإيمان بضع وسبعون شعبة - والشعبة هي الجزء - فكونكم تقولون: إنَّه أصل واحد إما أنْ يذهب كله وإما أنْ يبقى كله! هذا مخالف لقوله عليه الصّلاة والسّلام "الإيمان بضع وسبعون شعبة"، إذن المؤلف يريد أنْ يُبَيّن أنّ الإيمان شعب، وهذه الشعب متعددة، منها يتعلق بالقلب، ومنها ما يتعلق بالجوارح، ومنها ما يتعلق باللسان، وجاء تفصيل ذلك في بعض روايات الحديث قال: "أفضلُها لا إله إلّا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة مِن الإيمان" فأفضلها "لا إله إلّا الله" هذا قول، و"إماطة الأذى عن الطريق" عمل، و"الحياء" أمرٌ قلبيٌّ وجعله النَّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم مِن الإيمان إضافة إلى ما تقدم مِن أنّ النَّبيَّ صلّى الله عليه وسلّم جعله شعبًا، وكون النَّبيِّ عليه الصّلاة والسّلام جعله شعبًا يردّ على الخوارج الذين يجعلونه شيئًا واحدًا لا يتجزأ!

هذا الحديث الذي ذكره المؤلف - حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه - أورده الإمام الترمذي رحمه الله في سننه في "باب ما جاء في استكمال الإيمان وزيادته ونقصانه" وأورده أبو داود في "باب رَدِّ الإرجاء"، ومعنى ذلك أنّه لَمّا ذَكَرَ النَّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم أنّ الإيمان بضع وسبعون شعبة دلَّ ذلك على أنّ هذا الإيمان يتجزأ؛ وأنّ مَن أتى ببعض شعب الإيمان لا يُنفى عنه اسم الإيمان مطلقًا وإنما ينقص إيمانه؛ وأنّ مَن يأتي بأكثر شعبًا هو الأكثر إيمانًا، وأيضًا فيه رَدٌّ على المرجئة - على جميع أصنافهم - الذين يقولون: إنَّ الإيمان

(١) المائدة: ٣.

هو القول! أو أنّ الإيمان هو مجرد التصديق القولي فقط! فإنّ النَّبيَّ صلّى الله عليه وسلّم ذَكَرَ أنه شعب وهذه الشعب لها تعلقاتها، وتفصيل الحديث الذي جاء في صحيح مسلم "وأفضلها قول لا إله إلّا الله، وأدناها إماطة الأذى، والحياء شعبة مِن الإيمان" هذا واضح في الدلالة.

طيب، الحديث السابق(١) قال: حدثنا عبد الله بن محمد هو شيخهم عبد الله بن محمد بن جعفر بن مسلم المُسنَدي - بفتح النون -، وقال: حدثنا أبو عامر العَقَدي وهو عبد الملك بن عمرو، وقال: حدثنا سليمان بن بلال المدني مولى آل الصديق، وهؤلاء مُخَرَّج لهم في الصحيحين والكتب السِّتَّة، وكذلك شيخه عبد الله بن دينار الجُمَحِي المدني شيخ الإمام مالك رحمه الله وقد أكثر عنه في الموطأ وكذلك أبو صالح ذكوان السّمّان كل هؤلاء مُخَرَّج عنهم في الكتب السِّتَّة، وهذا الحديث مِن سُداسيات الإمام البخاريّ رحمه الله تعالى.

بَابٌ: المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ

- حَدَّثَنَا آدَمُ بْنُ أَبِي إِيَاسٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي السَّفَرِ، وَإِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ» قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: وَقَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا دَاوُدُ، عَنْ عَامِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ يَعْنِي ابْنَ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ عَبْدُ الأَعْلَى، عَنْ دَاوُدَ، عَنْ عَامِرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

.....

"بابٌ المسلم مَن سَلِمَ المسلمون مِن لسانه ويده" ويجوز لك أنْ تقول: "بابٌ: المسلمُ" على القطع ويجوز لك أنْ تقف تقول: "باب المسلم مَن سَلِمَ المسلمون مِن لسانه ويده".

قال: حدثنا آدم بن أبي إياس وهذا شيخ للإمام البخاريّ ولم يُخَرِّج عنه الإمام مسلم رحمه الله تعالى، قال: حدثنا شعبة بن الحجاج الواسطي الإمام المشهور، عن عبد الله بن أبي السَّفَر، في الكنى يقال - بفتح الفاء - السَّفَر، أبو السَّفَر، أما إذا كان في الأسماء فإنه يقال - بإسكان الفاء -، وهنا جاء كنيةً فيقال: عبد الله بن أبي

(١) الكلام على الإسناد استدركه الشيخ - حفظه الله - في أول التعليق على الحديث الثاني، فقمت بنقله إلى موضعه.

السَّفْر، وإسماعيل هو ابن أبي خالد الذي تقدم، والشعبي عامر بن شراحيل الإمام المشهور، وهذا أيضًا إسناده خَرَّجَ له الشيخان وأصحاب الكتب السِّتَّة سوى آدم بن أبي إياس فإنه تفرَّد عنه البخاريّ دون مسلم، وهذا الحديث مما تفرّد به البخاريّ عن مسلم ولم يُخَرِّجْهُ في صحيحه وهو حديث "المسلمُ مَن سَلِمَ المسلمون مِن لسانه ويده" والمؤلف قال: "بابٌ: المسلم مَن سَلِمَ المسلمون مِن لسانه ويده" وهذا تفسير منه رحمه الله للإيمان، لأنّ الإيمان والإسلام عنده شيء واحد، فدلَّ هذا الحديث على أنّ الأعمال داخلة في مسمى الإيمان؛ وأنّ التروك أيضًا داخلة في مسمى الإيمان؛ وأنّ المسلمين أو المؤمنين درجات، ولهذا الحافظ ابن مندة في كتابه "الإيمان" ذَكَرَ هذا الحديث في باب "ذِكْرُ صفة درجة الإسلام والإيمان" وقد قال بعض العلماء: إنّ البخاريّ رحمه الله ذَكَرَ هذا الحديث ليُبيّن به صفةَ المسلم الكامل؛ وأنّ المسلم ليس هو مَن يشهد أنْ لا إله إلّا الله؛ وأنّ محمدًا رسول الله؛ ويأتي بالفرائض! ولكن لا يكون إيمانُه وإسلامُه تامًا إلّا إذا سَلِمَ المسلمون مِن لسانه ويده، يعني أنه لا يعتدي ولا يؤذي المؤمنين.

قال أبو عبد الله: وقال أبو معاوية، وأبو عبد الله هو البخاريّ طبعًا، قال: أبو معاوية محمد بن خازم الضرير، حدثنا داود وهو ابن أبي هند، عن عامر، قال: سمعتُ عبد الله، هذا الإسناد المعلق وصله إسحاق بن راهويه وابن مندة وابن حبان، ومقصود الإمام البخاريّ رحمه الله لو تأملنا الإسناد السابق قال فيه: الشعبي عن عامر عن عبد الله بن عمرو والإسناد الذي يليه صَرَّحَ فيه عامر الشعبي بالسماع مِن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وإنما ذَكَرَ ذلك لأنّ الشعبي كوفي وعبد الله بن عمرو مكي واحتمال الانقطاع مع تباعد البلدان وارد، فأورد هذه الرواية لِيُبَيّن أنّ سماع عامر الشعبي مِن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه، وقال عبد الأعلى، هو عبد الأعلى بن عبد الأعلى السامي، وهذا مِن معلقات البخاريّ لأنّ البخاريّ لم يدرك لا أبا معاوية ولا عبد الأعلى، لأنّ عبد الأعلى توفي سَنَة مئة وتسعة وثمانين وأبو معاوية توفي سَنَة مئة وخمسة وتسعين والإمام البخاريّ رحمه الله ولد سَنَة مئة وستة وتسعين أو سَنَة مئة وأربعة وتسعين، الشاهد أنّ الإمام البخاريّ لم يدركهما؛ فهذا مِن المعلقات في صحيح البخاري، وهذا الأثر – حديث عبد الأعلى – لم يصله الحافظ ابن حجر في التغليق ولا في الفتح، في الفتح أهمله، وفي التغليق بيَّض له قال: أما حديث عبد الأعلى وبيَّضه تركه! وهذا دليل على أنه لم يجده.

بَابٌ: أَيُّ الإِسْلاَمِ أَفْضَلُ؟

- حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ القُرَشِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بُرْدَةَ بْنُ عَبْدِ اللهِّ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُّ عَنْهُ، قَالَ: قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِّ، أَيُّ الإِسْلاَمِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ، وَيَدِهِ».

.....

هذا قال المؤلف: "بابٌ: أي الإسلام أفضل" والمراد به أيُّ أصحاب الإسلام أفضل؛ بدلالة أنّ الإمام مسلم رحمه الله خَرَّجَ هذا الحديث في صحيحه بلفظ "أيّ المسلمون خير" دلَّ ذلك على أنه يريد هنا أصحابَ الإسلام أو يريد به ذوي الإسلام ولا يريد به الإسلام نفسَه!

وقوله: حدثنا سعيد بن يحيى بن سعيد القرشي هذا أحد شيوخ الأئمة السِّتَّة سوى ابن ماجة، وأبوه عُلِمَ مِن معرفة اسم ابنه، قال: حدثنا أبو بردة وهو بُرَيد بن عبد الله بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه، وأبو بردة عامر أو الحارث بن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

وهذا الإسناد سند كوفي، رواته كلهم مِن أهل الكوفة، وقد خَرَّجَه الإمام مسلم رحمه الله تعالى، إذن هذا الباب "بابٌ أيُّ الإسلام أفضل" وفي رواية "أيّ المسلمين أفضل" تفاضل المسلمين يعني تفاضل الناس في الإيمان والإسلام، وإذا كانوا يتفاضلون فيه دلَّ ذلك على أنّ هذا الإسلام قابل للزيادة والنقصان، ففيه أمران:

الأمر الأول: يتعلق بالزيادة والنقصان عند حصول التفاضل فيه.

والثاني: أنه أطلقه على العمل؛ فدلَّ ذلك على أنّ العمل مِن الإيمان، وهذا شروع مِن المؤلف رحمه الله في هذه الأبواب في بيان تفاصيل ما يتعلق بالأصل الذي قرَّره في أول الكتاب وهو أنّ الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، كثير مما بعده مِن الأبواب تتعلق بهذا الأصل.

بَابٌ: إِطْعَامُ الطَّعَامِ مِنَ الإِسْلاَمِ

- حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ خَالِدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ يَزِيدَ، عَنْ أَبِي الخَيْرِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا؛ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الإِسْلاَمِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلاَمَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ».

.....

"بابٌ: إطعام الطعام مِن الإسلام" وهذا كالباب الذي قبله، بمعنى أنّ الأعمالَ داخلةٌ في مسمى الإسلام الذي هو الإيمان، لأنّ البخاريّ يجعل الإيمانَ والإسلامَ بمعنى واحد، الباب الذي قَبْلَه كان متعلقًا بالمسلم نفسِه وهذا الباب متعلق بالعمل، وقلنا: هناك تلازم بين العمل والعامل.

"باب إطعام الطعام مِن الإسلام" والذي قَبْلَه "المسلم مَن سَلِمَ المسلمون مِن لسانه ويده" وباب "أيّ الإسلام أفضل" تلك متعلقة بالواجبات وهذا متعلق بالمستحبات، يعني هذا الباب يفترق عن البابين السابقين بكونه متعلقًا بالمستحبات والمندوبات، فدلَّ ذلك على أنّ الأعمال - سواء ما كان منها فرضًا أو ما كان منها مشروعًا على غير جهة الفرضية وإنما هو مِن باب النوافل والمستحبات - هو داخل في مسمى الإيمان، ولهذا قال: "تطعم الطعام وتقرأ السلام على مَن عرفتَ ومَن لم تعرف"، والبداءة بالسلام سُنَّةٌ، وإطعام الطعام ليس كلُّه واجبًا - قد يتعين وقد لا يتعين -؛ فدخل فيه ما كان غير متعين مِن الإطعام، وأيضًا يَدُلُّ على أنّ الإيمان يزيد وينقص لأنه لمّا ذَكَرَ هنا قال: "أيّ الإسلام خير" دلَّ ذلك على أنّ مراده هنا الإسلام الكامل وليس مراده مَن يأتي بأركان الإسلام مع أصل الإيمان! لكن هذه الدرجة الواردة في هذا الحديث - كما تقدم - ليست مِن المتحتمات، فدلَّ ذلك على أنّ الإيمان متعلق بأصل ما لا يتم الإيمان إلّا به فهو أصل وشيء نوع آخر مِن الأعمال متعلق بالإيمان يصح الإيمان بدونه لكن لا يَكْمُلُ الكمال الذي أوجبه الله إلّا به، وثالثها ما كان مكملًا للإيمان؛ فإذا تركه الإنسان لم يأثم؛ لكن إذا فعله زاد إيمانُه، والناس يتفاوتون في فعل هذه الأشياء، ولهذا العلماء رحمهم الله لمّا ذكروا الإيمانَ ذكروا ما يتعلق بالأصل الواجب يعني الذي لا يمكن أنْ يُحْكَمَ على الإنسان بأنه مسلم أو مؤمن إلّا به، وهناك قسم مِن الواجبات لكن إذا تركه الإنسان لم يَبطل إيمانُه لكن يكون إيمانه ناقصًا، وفيه شيء آخر هو مِن المكملات التي يستحب للمسلم أنْ يأتي بها؛ فإذا لم يأت بها لم ينقص إيمانُه؛ فإذا جاء بها زاد إيمانُه.

قال: حدثنا عمرو بن خالد وهو الحرَّاني انفرد الإمام البخاريّ رحمه الله بالرواية عنه دون بقية الخمسة إلّا أنّ ابن ماجة روى عنه بالواسطة، عن يزيد هو أبي حبيب المصري، وهذا مما خُرِّجَ له في الصحيحين وفي السُّنَن، وقوله عن أبي الخير مرثد بن عبد الله اليزني، وأيضًا هذا مُخَرَّج له في الكتب السِّتَّة، وهذا الإسناد إسناد مصري وقد خَرَّجَه مسلم في صحيحه.

بَابٌ: مِنَ الإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ

- حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَنْ حُسَيْنٍ المُعَلِّمِ، قَالَ: حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ قَالَ: «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ».

.....

"بابٌ: مِن الإيمان أنْ يحب لأخيه ما يحب لنفسه" قال: حدثنا مسدد بن مسرهد بن مسربل شيخ البخاري، ولم يُخَرِّج له الإمام مسلم، قال: حدثنا يحيى وهو ابن سعيد القطان الإمام العَلَم المشهور، عن شعبة بن الحجاج، عن قتادة عن أنس رضي الله عنه، قتادة بن دِعامة المُفَسّر، عن النَّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم، قال: وعن حسين المعلم، وهو الحسين بن ذكوان، قال: حدثنا قتادة عن أنس عن النَّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم، قوله: وعن حسين معطوف على قوله عن شعبة، أي حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن شعبة وعن حسين المعلم، كلاهما عن قتادة، هذا تفسير الحديث، لكن ذَكَرَ العلماء أنّ الإمام البخاريّ أورده هكذا لأنه لم يُجمع له بالإسناد بين الشيخين، المعنى أنّ يحيى لمّا حدثه في هذا الحديث لم يجمع له بين الشيخين - بين شعبة وحسين المعلم - وإنما روى له الحديث عن شعبة ثم روى له الحديث عن حسين المعلم، وهذا سند بصري، وقد خَرَّجَه الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه.

هذا الحديث "بابٌ: مِن الإيمان أنْ يحب لأخيه ما يحب لنفسه" هنا نفيٌ للإيمان، ونفي الإيمان لا يكون إلّا على ترك واجب؛ أما المستحبات فلا ينفى الإيمانُ عن صاحبها، ومِن هنا كل ما نفى به النَّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم أو جاء نفي الإيمان عن صاحبه - سواء كان في القرآن أو بالسُّنَّة - فاعلم إما أنه نفي لأصل

الإيمان وإما نفي لكماله الواجب، لا تعلق له بالمستحبات، ولهذا المؤلف قال: "مِن الإيمان" يعني مِن الإيمان الواجب "أنْ يحب لأخيه ما يحب لنفسه" ومعنى ذلك أنْ يتمنى مِن الخير لأخيه ما يتمناه لنفسه، وقد ترجم غيرُ واحد مِن العلماء على هذا الحديث بما يفيد معنى ما ذكره الإمام البخاري.

أورده أبو عوانة في مستخرجه قال: "باب بيان نفي الإيمان عن الذي يُحرم هذه الأخلاق المبيَّنة" ثم ذَكَرَ جملة مِن الأحاديث الدالة على الأخلاق ومنها هذا الحديث الذي معنا، وابن حبان في صحيحه قال: "ذِكْرُ نفي الإيمان عن مَن لا يحب لأخيه ما يحبه لنفسه"، وذَكَرَه الإمام النسائي في "باب علامة الإيمان"، وذكره أيضًا ابن مندة في "ذِكْرِ الخصال التي إذا فعلها المسلم ازداد إيمانًا"، فدَلَّ كلامُ أهل العلم على أشياء:

الأول: أنّ الإيمان قد ينفى عن صاحبه ولا يراد به خروجُه مِن الإيمان.

الثانية: أنّ للإيمان علامات ودلائل عليه، وهي الأعمال الظاهرة، وهي جزء منه؛ لأنّ السلف جعلوها مِن حقيقة الإيمان.

ثالثها: أنّ الأعمال تزيد في الإيمان، ولذا ذكرها ابن مندة في الباب الذي يفيد هذا.

بَابٌ: حُبُّ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الإِيمَانِ

- حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنِ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ».

- حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عُلَيَّا، عَنْ عَبْدِ العَزِيزِ بْنِ صُهَيْبٍ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ح وحَدَّثَنَا آدَمُ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ».

.....

قال: "باب حُبّ الرسول صلّى الله عليه وسلّم مِن الإيمان" ويريدون بذلك الحبَّ الاختياري لا الحبَّ الطبيعي، وحبُّ الرسول صلّى الله عليه وسلّم مِن الإيمان؛ بل لا يكون العبد مؤمنًا إلّا بمحبة الرسول صلّى

الله عليه وسلّم، والحبُّ شيءٌ قلبيٌّ لكن له أثرٌ على الجوارح، في التبويب قال: "باب حُبّ الرسول صلّى الله عليه وسلّم" والرسول هنا يُراد به النَّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم واللام فيه للعهد لأنه هو المذكور في الحديث "حتى أكون أحبّ إليه مِن ولده ووالده والناس أجمعين" - وإنْ كان حُبُّ الأنبياء جميعًا مِن الأمور المتعينة - ، ثم ذَكَرَ الحديث.

قال: حدثنا أبو اليمان هو الحكم بن نافع الحمصي، قال: أخبرنا شعيب بن أبي حمزة الحمصي أيضًا، قال: حدثنا أبو الزناد عبد الله بن ذكوان المدني، عن الأعرج عبد الرحمن بن هرمز وهو مدني أيضًا، عن أبي هريرة أنّ النَّبيَّ صلّى الله عليه وسلّم قال، وهذا الحديث خَرَّجَه الإمام مسلم في صحيحه.

قال: "فوالذي نفسي بيده لا يؤمِن أحدكم" قلنا: نفي الإيمان لا يكون إلّا على واجب، والحديث الذي معنا "حتى أكون أحب إليه مِن ولده ووالده والناس أجمعين" والباب " باب حُبّ الرسول صلّى الله عليه وسلّم مِن الإيمان" والذي في الحديث أخصّ مِن الباب، فإذا كان الإيمان ينتفي عن الإنسان - والمراد به انتفاء كماله الواجب - إذا لم يُقَدِّم محبةَ الرسول صلّى الله عليه وسلّم على محبته لولده ووالده والناس أجمعين دلَّ ذلك على أنّ أصل المحبة للنَّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم مِن بابَ أوجب، وعندنا محبةُ النَّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم وهذا أمرٌ واجب فالذي لا يحب النَّبيَّ صلّى الله عليه وسلّم ليس بمؤمن قطعًا! وهذا أمر مجمع عليه لا خلاف فيه، فلو أنّ إنسانًا اتبعَ النَّبيَّ صلّى الله عليه وسلّم وعمل بما جاء لكنه يبغض هذا النَّبيَّ ويكره هذا النَّبيَّ فهو كافر بإجماع العلماء، لكنّ المسألة الثانية هي مسألة تقديم محبةِ النَّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم على ولده ووالده والناس أجمعين، تقديمُ محبتِه صلّى الله عليه وسلّم هذا أمرٌ متعين، لكن لو لم يكن مِن الإنسان؛ فهل يقال: إنه كافر؟ لا يقال: إنه كافر، لكنه ناقص الإيمان، لأنّ النَّبيَّ صلّى الله عليه وسلّم نفى عنه الإيمان في هذا النص، والدليل على ذلك أنّ عمر رضي الله عنه قال: يا رسول الله؛ إنك لأحب إليّ مِن كل شيء إلّا مِن نفسي، فقال: "لا يا بن الخطاب! حتى مِن نفسك" فقال: حتى مِن نفسي، قال: "الآن"(١) يعني الآن كَمُلَ إيمانُك، لكنه لم يأمره بتجديد الإيمان، ولم يقل له: إنك لم تكن مؤمنًا! ولا يمكن أنْ يكون عمر رضي الله عنه - مع صحبته للنَّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم مع إيمانه وجهاده - أنْ يكون عمر رضي الله عنه في تلك الفترة كان

(١) صحيح البخاري (٦٦٣٢) من حديث عمر رضي الله عنه مرفوعًا.

كافرًا؛ والوحي لا ينزل لبيان ذلك! إذن عمر رضي الله عنه كان على الإيمان لكن كان يُقَدِّمُ محبةَ نفسِه على النَّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم، فبيّن النَّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم أنّ إيمانَه لا يكمل إلّا بتقديم محبته صلّى الله عليه وسلّم على محبة مَن سواه، هذه المحبة ذَكَرَ العلماء أنّ لها أثرًا يعني لها علامة، ما علامة تقديم محبتك للرسول صلّى الله عليه وسلّم على محبتك لنفسك وعلى ولدك ووالدك؟ لها علامة وهي تقديم طاعة الرسول صلّى الله عليه وسلّم على طاعة مَن سواه وعلى ما تهواه النفس، فإذا كان هناك أمرٌ مِن النَّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم فغلبتك نفسُك على خلافه ففيك نقص في المحبة، أو مثلًا كان هناك أمرٌ يريده ولدك على خلاف ما جاء به النَّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم فقدمتَه صار ذلك نقصًا في الإيمان، لأنّ ذلك دليل على نقص محبتك له صلّى الله عليه وسلّم، ولو كنت تحبُّه لقدمتَ ما يحبه صلّى الله عليه وسلّم على ما تهواه نفسك وعلى ما يحبه غيرُك مِن ولدك ووالدك والناس أجمعين.

وقوله في الحديث الآخر حدثنا يعقوب بن إبراهيم هو الدورقي، قال: حدثنا ابن عُلَيّا وهو إسماعيل بن إبراهيم المشهور بابن عليَّا، وعليَّا هي أمه ولهذا يُكتب بالألف – لا تسقط الألف! –، عن عبد العزيز بن صهيب البُناني، كل هؤلاء المذكورون مِن رواة الكتب السِّتَّة ومِن المعروفين، ح وحدثنا آدم، ح حرف يكتبه العلماء للتحول مِن إسناد إلى إسناد آخر، ويُنطق مهملًا، قال: ح وحدثنا، ينطق على أنه حرف، لا ينطق على أنه اسم! لا يقال: حاء! يقال: ح وحدثنا، وحدثنا آدم ابن أبي إياس قال: حدثنا شعبة عن قتادة عن أنس وهؤلاء سبق ذِكْرُهم.

بَابُ حَلاَوَةِ الإِيمَانِ

– حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ المُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الوَهَّابِ الثَّقَفِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَيُّوبُ، عَنْ أَبِي قِلاَبَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ».

.....

قال: "بابُ حلاوة الإيمان" على الإضافة، والمقصود عندنا الحلاوة ضد المرورة، والمقصود بها هنا لذة الإيمان التي يجدها الإنسان في قلبه، لأنّ القلب - كما قال العلماء -: إذا سَلِمَ مِن الآفات والأسقام المتعلقة بالشهوات والأهواء فإنه يَجِدُ للإيمان لذة وحلاوة في قلبه، أما إذا كان هناك شبهات وشهوات فإنه لا يستلذ بالإيمان كما يستلذ به مَن سَلِمَ منها، ويُنَظِّرُون لذلك بصحة الجسد، فإنّ الجسد الصحيح السالم مِن الأمراض يتذوق الطعامَ ويعرف حلاوتَه ويستلذ بهذه الحلاوة بخلاف الذي يكون به سقم ومرض ربما يُعطى أحسنَ الطعام وألذَّ الشراب ويجده مُرًّا أو لا يستلذه كما يستلذه غيره مِن الأصحاء.

عندنا "بابُ حلاوة الإيمان" هذا الباب تابعٌ للبابين السابقين لأنّ البابين السابقين "باب مِن الإيمان أنْ يحب لأخيه ما يحب لنفسه" و"باب حُبّ الرسول صلّى الله عليه وسلّم مِن الإيمان" وهذا الباب مُكَمِّلٌ لذينك البابين.

"حلاوة الإيمان" قال: "ثلاث مَن كنَّ فيه وجد بهنَّ حلاوة الإيمان، أنْ يكون اللهُ ورسولُه أحبَّ إليه مما سواهما" كما قال: تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾[1] فهذا تهديد ووعيد لِمَن قَدَّمَ محبةَ غيرِ الله على محبة الله لهذا قال: ﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ ثم قال: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ فدلَّ ذلك على حصول الفسق لهم إذا لم يُقدّموا محبةَ الله ومحبةَ رسوله صلّى الله عليه وسلّم على محبةِ غيرِه، "وأنْ يحبَّ المرء لا يحبه إلّا لله" يعني أنْ يكون مبعثُ محبتِه للمرء هو محبة الله عزّ وجلّ، "وأنْ يكره أنْ يعود في الكفر كما يكره أنْ يقذف في النار" والمراد بذلك أنّ الإنسان إذا نجاه الله مِن الكفر بعد أنْ كان كافرًا أو لم يكن كافرًا أصلًا؛ فإنه يكره أنْ يعود في الكفر؛ يعني يرجع بالكفر - وقد مَنَّ الله عليه بالإيمان - كما يكره أنْ يقذف في النار، بمعنى أنه يكون شديد البغض للكفر؛ شديد التباعد عن أسبابه الموصلة إليه، إذن إذا كان الأمر كذلك حصلت له المحبةُ القلبيةُ الخالصةُ لله، وحصل أيضًا في قلبه محبةُ غير الله لمحبة الله، ثم أيضًا حصل التباعدُ عن أسباب الكفر، وإذا تباعد عن أسباب الكفر حقق الإيمانَ، لأنّ بالتروك وبالأعمال يتحقق الإيمان، لأنّ الكفر يكون بالقول والفعل والترك

(١) التوبة: ٢٤.

والاعتقاد، وكذلك الإيمان، وكلما تباعد الإنسان عن أسباب الكفر تَحَصَّلَ على أسباب الإيمان، وهنا عندنا كراهية وعندنا محبة، والكراهية والمحبة كلاهما مِن أعمال القلوب، فدَلَّ ذلك على أنّ الإيمان لا يجدُ الإنسان حلاوتَه إلّا إذا وَقَرَ هذا الإيمانُ في قلبه.

بَابٌ: عَلاَمَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ

- حَدَّثَنَا أَبُو الوَلِيدِ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَبْرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسًا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ قَالَ: «آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ».

.....

قال: "بابٌ علامة الإيمان حبُّ الأنصار" ويصح أنْ يقال: "بابُ علامة الإيمان" يعني يصح أنْ يكون بالقطع على التنوين أو بالإضافة.

"باب علامة الإيمان حبُّ الأنصار" محبة الأنصار إنما كانت مِن الإيمان لأنهم نصروا رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم وآووه، فمحبتهم مِن أجلِ نصرتهم لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وبغض الأنصار مِن جهة أنهم نصروا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم نفاقٌ، والحب - كما قلنا - مِن الأعمال القلبية؛ فدَلَّ ذلك على أنّ الإيمان أيضًا يشمل الأعمالَ القلبيةَ؛ وأنّ للإيمان علامات.

وقوله: حدثنا أبو الوليد هو هشام بن عبد الملك الطيالسي، وشعبة هو ابن الحجاج، قال: أخبرني عبد الله بن عبد الله بن جَبْر هو ابن عتيك الأنصاري خَرَّجَ له البخاريّ ومسلم، وأبو الوليد الطيالسي خَرَّجَ له الشيخان وأصحاب السُّنَن، والحديث خَرَّجَه الإمام مسلم في صحيحه أيضًا.

فقوله: "آية الإيمان حبّ الأنصار" هذا دليل على أنّ أعمال القلوب مِن الإيمان، وهذا تفصيل لِمَا ذكره المؤلف كما تقدم.

بَابٌ

حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو إِدْرِيسَ عَائِذُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ؛ أَنَّ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - وَكَانَ شَهِدَ بَدْرًا وَهُوَ أَحَدُ النُّقَبَاءِ لَيْلَةَ العَقَبَةِ - أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ - وَحَوْلَهُ عِصَابَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ -: «بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لاَ تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا، وَلاَ تَسْرِقُوا، وَلاَ تَزْنُوا، وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ، وَلاَ تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلاَ تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا؛ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَتَرَهُ اللهُ؛ فَهُوَ إِلَى اللهِ؛ إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ». فَبَايَعْنَاهُ عَلَى ذَلِكَ.

.....

هذا الباب لم يترجم له المؤلف وإنما قال: "بابٌ" وهذا موجود في صحيح البخاريّ في مواضع من صحيحه، بعض العلماء ذكروا أنّ المؤلف رحمه الله هنا لم يذكر ترجمة لهذا الباب لأنّ هذا الباب تابع لِما قَبْلَه على اعتبار أنّ البخاريّ رحمه الله أراد به بيانَ السبب في تسمية الأنصار بهذا الاسم؛ فكأنه تابعٌ لِمَا قَبْلَه وليس بأصل أراده المؤلف! لكن إذا نظرنا إلى الحديث فإنّ النَّبيَّ صلّى الله عليه وسلّم ذَكَرَ فيه شأنَ أهلِ الكبائر؛ وأنّ مَن أصاب منهم شيئًا مِن هذه الكبائر فعُوقب في الدنيا فهو كفارة له؛ وأنّ مَن أصاب مِن ذلك شيئًا ثم ستره الله - يعني مات على غير توبة - فهو إلى الله؛ إنْ شاء عفا عنه وإنْ شاء عذبه، وهذا دليل على أنّ المعاصي لا تنافي الإيمان، بل تجتمع مع الإيمان؛ لكن لا تعطي الرجل الاسم المطلق للإيمان، لا يقال: إنه مؤمن الإيمان الكامل! لكنه يطلق عليه أنه مؤمن، فمطلق الاسم متحصل له، لكنّ الاسم المطلق لا يكون له بكبيرته هذه، فدَلَّ هذا على الردِّ على الخوارج الذين يقولون: إنّ الكبائر تسلب الإيمانَ عن المؤمن! وكذلك فيه رَدّ على المعتزلة الذين يضمون قولهم إلى قول الخوارج، وأيضًا في الحديث لَمّا قال: "فمَن وفَى منكم فأجره على الله" ويصح أنْ تقول: "فمَن وفَّى منكم" كلاهما جاء بهما الضبطُ، "فمن وفى منكم فأجره على الله" فدَلَّ ذلك على أنّ الإيمان يزيد بترك هذه المحرمات، دلَّ ذلك على أنّ التروك لله تعالى مِن الإيمان، يعني مَن ترك هذه الأشياء السرقة والزنى والقتل - قتل الأولاد - وكذلك إذا ترك الإتيان بالبهتان الذي يُفترى بين الأيدي والأرجل والمراد به استلحاق ولدِ الزنى وعمَّمَه بعضُ العلماء فقال: هو عام في كل بهتان مِن الكذب والغيبة والنميمة، وذكر بعض أهل العلم أنّ المراد به قذفُ المحصنات، الشاهد أنّ مَن "وفَى" أو "وفَّى"

فأجرُه على الله، ومِن المعلوم أنّ كلَّ واحدة مِن هذه لها حكمها ويترتب على تركها أجرها، وعندئذ الناس يتفاوتون في ترك هذه الأشياء كما يتفاوتون في فعلِ ما أُمِروا به، وعندئذ يقال: إنه قد يقال: إنَّ هذا الحديث يَدُلُّ على زيادة الإيمان لأنّه قال: "فمن وفَّى" أو "فمن وفَى فأجره على الله" والأجر مرتب على العمل، والنَّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم يقول: "وإنه لن يدخل الجنةَ إلّا نفس مؤمنة"(١).

بَابٌ: مِنَ الدِّينِ الفِرَارُ مِنَ الفِتَنِ

- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهَّ بْنُ مَسْلَمَةَ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللهَّ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي صَعْصَعَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُ؛ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ المُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الجِبَالِ وَمَوَاقِعَ القَطْرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الفِتَنِ».

.....

قال: "بابٌ مِن الدين الفرارُ مِن الفتن" تقدير هذا الباب - كما قدَّرَه بعضُ العلماء - بابٌ الفرار مِن الفتن شعبةٌ مِن الدين، لماذا؟ لأنَّ الفرارَ عملٌ؛ وهذا العمل جاء مِن حفظ الدين، فهو مِن الأعمال الصالحة وجعله شعبةً مِن شعب الإيمان، لأنَّ الإسلام والإيمان كلاهما دين ويطلق عليهما أنَّها دين لقوله في حديث جبريل: "هذا جبريل جاءكم يعلمكم دينكم"، وهذا واضح مما تقدم.

وقوله: حدثنا عبد الله بن مَسْلَمة وهو القعنبي، مُخَرَّج له في الصحيحين، وهو مِن رواة موطأ الإمام مالك المشهورين، عن مالك بن أنس الإمام الجليل المعروف، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة الخزرجي الأنصاري، خَرَّجَ له البخاريّ ولم يُخَرِّج له مسلم، عن أبيه عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة، وقد خَرَّجَ له أيضًا البخاريّ ولم يُخَرِّج له مسلم، وهذا الحديث مِن أفراد الإمام البخاريّ وتفرّد به في صحيحه عن الإمام مسلم، وهو مسلسل بالمدنيين لأنَّ عبد الله بن مسلمة القعنبي - وإنْ كان بصريًا في أصله - إلّا أنَّه سكن المدينة.

---

(١) صحيح. الترمذي (٣٠٩٢) من حديث عليّ رضي الله عنه مرفوعًا. الإرواء (٤/ ٣٠٢).

بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا أَعْلَمُكُمْ بِاللهِ»

وَأَنَّ المَعْرِفَةَ فِعْلُ القَلْبِ لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾(١).

- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلاَمٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدَةُ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَمَرَهُمْ؛ أَمَرَهُمْ مِنَ الأَعْمَالِ بِمَا يُطِيقُونَ، قَالُوا: إِنَّا لَسْنَا كَهَيْئَتِكَ يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ اللهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، فَيَغْضَبُ حَتَّى يُعْرَفَ الغَضَبُ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: «إِنَّ أَتْقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللهِ أَنَا».

.....

"بابُ قولِ النَّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم: أنا أعلمكم بالله؛ وأنَّ المعرفة فعل القلب لقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾(٢) " قولُ النَّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم: "أنا أعلمكم بالله" وهذه صيغة تفضيل، وهذا يَدُلُّ على أنَّ ما في قلوب المؤمنين متفاضل؛ فليس ما في قلب النَّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم مِن العلم بالله كما في قلوب غيره مِن الناس! وأصل الإيمان هو العلم بالله تعالى؛ فدَلَّ ذلك على أنَّ الإيمان الذي في القلب يتفاضل لأنَّه تابعٌ للعلم والمعرفة، وفيه أيضًا قال: "وأنَّ المعرفةَ فعلُ القلب" ويريد بذلك أنَّ المعرفةَ التي في قلب الإنسان هي كسبٌ بدلالة الآية لأنَّه قال: ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾(٣) وهذه الآية - وإنْ كانت في الأَيمان - ولكن يستدل بها على مسألة الإيمان، لأنَّه لَمَّا ذَكَرَ في مسألة الأيمان ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾(٤) الشاهد منه أنَّه أثبت أنَّ للقلب كسبًا؛ فدَلَّ ذلك على أنَّ المعرفة التي تكون في قلب المؤمن هي كسبٌ له؛ وإذا كانت المعرفةُ كسبًا فالناس متفاوتون في الكسب؛ فيتفاضل ما في قلوب الناس مِن الإيمان بحسب كسبهم، وهذا رَدٌّ على الذين يقولون: إنَّ الإيمان الذي في القلب هو شيءٌ واحد لا يتفاوت الناس فيه! ويدلُّ - كما قلنا - على زيادة الإيمان في قوله: "أنا أعلمكم بالله".

(١) البقرة: ٢٢٥.
(٢) البقرة: ٢٢٥.
(٣) البقرة: ٢٢٥.
(٤) البقرة: ٢٢٥.

قوله: حدثنا محمد بن سَلَام هو البيكندي، خَرَّجَ له البخاريّ ولم يُخَرِّج له مسلم، قال: أخبرنا عبدة، وهو ابن سليمان الكِلابي، مُخَرَّج له في الصحيحين وفي السُّنَن، عن هشام بن عروة عن أبي عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها، وهذا الإسناد قد خُرِّجَ له في الصحيحين والكتب السِّتَّة سوى محمد بن سَلَام؛ فإنَّ مسلمًا لم يُخَرِّجْ له.

قالت: "كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إذا أمرهم مِن الأعمال أمرهم بما يطيقون؛ قالوا: إنَّا لسنا كهيئتك يا رسول الله! قالوا: إنَّ الله قد غفر لك مِن ذنبك ما تقدم وما تأخر! فيغضب حتى يُعرف الغضب في وجهه ثم يقول: إنَّ أتقاكم وأعلمكم بالله أنا"، الشاهد منه قوله: "إنَّ أتقاكم وأعلمكم بالله أنا" وهذا طبعًا عند النحويين إذا تأتّى أنْ يكون الضمير متصلًا فلا يفصل، وهنا فُصِلَ، وبه استشهد بعض أهل العلم على أنّه يجوز فصل الضمير وإنْ كان يمكن وصله، لأنه لو قال: "إني أتقاكم وأعلمكم بالله" - على قول النحاة - هذا هو المتعين هنا لأنه أمكن اتصال الضمير، وطبعًا هذه المسألة مبنية على مسألة الاستشهاد بالحديث النبوي، وللعلماء فيها كلام كثير - يعني في الاستشهاد - والأحاديث المستشهد بها تختلف، بعض الأحاديث روي نصًا، وبعضها مِن الجوامع أو مِن الكلام الذي لا يمكن درايته إلّا نصًا لأنه مقصودٌ لذاته بالتعبد، وفي بعض الأحاديث لا سيما بعض الطِّوال منها فيها بعض الاختلاف، وعلى كلٍّ بعض العلماء يرى التفصيل، وبعض العلماء لا يرى الاستشهاد، وبعض العلماء يقول: إنْ كان بعض رواة الأحاديث مِن العرب فقولهم في هذا حجة - سواء أثبتناه للنَّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم وقلنا إنه روي بالمعنى - والله أعلم، لكن هنا قال: "إنَّ أتقاكم وأعلمكم بالله أنا" الشاهد "إنَّ أتقاكم" التقوى والعلم، وطبعًا قلنا: إنّ التقوى في القرآن التقوى هي مِن الإيمان وأحيانًا تطلق التقوى ويراد بها الإيمان، وذلك بالنظر إلى الأعمال المذكورة بها أو المُفَسّر بها التقوى أو المُفَسّر بها الإيمان، لكن هنا أثبت التفاضل، والتفاضل كما أنه حاصل في الأعمال الظاهرة أيضًا هو حاصلٌ في القلب، لأنّ التقوى أصلُها في القلب والعلم أصلُه في القلب، والتفاوت حاصل؛ إذن الإيمان يتفاوت في قلوب الناس ويزيد وينقص كما أنّ التقوى والعلم تزيد في قلوب الناس؛ لأنّ التقوى مِن الإيمان؛ والعلم أصل الإيمان.

بَابٌ: مَنْ كَرِهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ مِنَ الإِيمَانِ

- حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَمَنْ أَحَبَّ عَبْدًا لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ، وَمَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ، بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ، مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ».

.....

في هذا الحديث بَوَّبَ عليه الإمام البخاريّ رحمه الله مرة أخرى لأنه ذَكَرَه في "باب حلاوة الإيمان" مِن حديث أنس رضي الله عنه مِن رواية أبي قتادة ثم رواه هنا مِن طريق آخر، البخاريّ رحمه الله إذا أعاد حديثًا فالغالب والعادة الغالبة عنده أنه لا يعيده بسنده ومتنه تمامًا؛ ولكن يغاير في الإسناد بمعنى يأتي بإسناد آخر أو مِن وجه آخر أو يغاير في متنه إما باختصار أو بإطالة وإما براوية أخرى إلى آخره، وهنا في الأول ذكره عن أبي قِلابة عبد الله بن زيد الجرمي؛ وهنا ذكره مِن رواية قتادة عن أنس رضي الله عنه.

وقوله "باب مَن كره أنْ يعود في الكفر كما يكره أنْ يلقى في النار مِن الإيمان" يعني أنّ ذلك علامة مِن علامات الإيمان، والكراهية - كما قلنا - هي في القلب؛ فدَلَّ ذلك على أنّ أعمال القلوب مِن الإيمان وقد تقدم ذَكَرَ الكلام عليه.

بَابٌ: تَفَاضُلِ أَهْلِ الإِيمَانِ فِي الأَعْمَالِ

- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى المَازِنِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَدْخُلُ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ»، ثُمَّ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: «أَخْرِجُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا قَدِ اسْوَدُّوا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرِ الحَيَا، أَوِ الحَيَاةِ - شَكَّ مَالِكٌ - فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ فِي جَانِبِ السَّيْلِ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهَا تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً» قَالَ وُهَيْبٌ: حَدَّثَنَا عَمْرٌو: الحَيَاةِ، وَقَالَ: خَرْدَلٍ مِنْ خَيْرٍ.

- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلٍ؛ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ، رَأَيْتُ النَّاسَ يُعْرَضُونَ عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ قُمُصٌ، مِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثُّدِيَّ، وَمِنْهَا مَا دُونَ ذَلِكَ، وَعُرِضَ عَلَيَّ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ يَجُرُّهُ». قَالُوا: فَمَا أَوَّلْتَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «الدِّينَ».

.....

هذا "باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال" أو "بابٌ: تفاضل أهل الإيمان في الأعمال" فيجوز فيه القطع والتنوين، ذَكَرَ المؤلف رحمه الله فيه حديثين، الحديث الأول ذَكَرَ ما يتعلق بمن يُخَرَّج مِن النار بأنْ يكون في قلبه مثقال حبة مِن خردل مِن إيمان، وذَكَرَ في الحديث الثاني الرؤيا، وفيه اختلاف الناس في القُمُص، بعض أهل العلم قَصَرَ قولَ البخاريّ "باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال" على أعمال القلوب؛ وأنّ الناس فيها متفاضلون، وهذا وإنْ سُلِّم في الحديث الأول إلّا أنّ الحديثَ الآخر ليس فيه ما يَدُلُّ عليه، دلَّ ذلك على أنّ قوله هنا "باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال" يشمل أعمالَ القلوب وأعمالَ الجوارح، بل قد يكون التمثيل بالقُمُص أظهرُ في أعمال الجوارح، وفي تمثيله بِمَن كال في قلبه مثقال حبة مِن خردل مِن إيمان أدخلُ في مسألة اعمال القلوب، فدَلَّ هذا أنّ أهل الإيمان يتفاضلون فيه، كما كانوا يتفاضلون في الاعتقادات كذلك يتفاضلون فيه في أعمال القلوب وفي أعمال الجوارح.

وقوله: حدثنا إسماعيل هو ابن عبد بن أويس المدني، وهو ابن أخت الإمام مالك، قد خَرَّجَ له البخاريّ ومسلم، حدثني مالك وهو خاله، عن عمرو ين يحيى بن عُمارة المازني عن أبيه عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه، وهذا الحديث أيضًا خَرَّجَه الإمام مسلم في صحيحه، ثم ذَكَرَ في آخر الحديث قال: "ألم تَرَ أنها تخرج صفراء ملتوية"، النَّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم مَثَّلَ الذين يخرجون مِن النار بمثل الحِبة، والحِبة هي بذور تتساقط في وقت نزول الأمطار، فتساقطت خرجت بسرعة نبتت بسرعة، لكنها لَمّا تخرج تخرج صفراء ملتوية، فهكذا العصاة مِن الموحدين إذا أُخرجوا مِن النار بما معهم مِن الإيمان فإنهم يخرجون منها قال العلماء: سراعًا ويخرجون منها على هيئة الحبة يعني بمعنى أنهم يكونون في البداية ضِعَافًا إلّا أنهم سُرعان ما ينبتون كما تنبت الحِبةُ في جانب السيل أو في حميل السيل، فالحبة أول ما تخرج تخرج ضعيفة ثم سرعان ما

تنبت، وهكذا مَن يُخْرَجون مِن النار ممن كان في قلبه مثقال حبة، فهذا فيه تفاضلُ أهل الإيمان، وهذا تنصيص الإمام البخاريّ رحمه الله أنهم يتفاضلون، والدليل على ذلك أنّ هؤلاء أُخرجوا مِن النار لِمَا في قلوبهم مِن الإيمان، قوله "حبة خردل مِن إيمان" إذن الذين دخلوا الجنة هم أكمل منهم إيمانًا، الذين دخلوا الجنة ولم تصبهم النار هم أكملُ منهم إيمانًا، ولمّا قال: "أخرجوا مَن كان في قلبه مثقال حبة مِن خردل مِن إيمان" دَلَّ ذلك على أنّ الإيمان يتعلق بالقلوب.

والحديث الآخر: قال وهيب: حدثنا عمرو: الحياة، وقال: خردل مِن خير، هذا يُبيّن أنّ رواية وهيب وهو ابن خالد بن عجلان البصري يُبيّن ما فيها مِن اختلاف مع هذه الرواية، لأنّ الرواية التي عندنا قال: "فيُلقون في نهر الحياء أو الحياة" شك مالك، فجاء البخاريّ برواية وهيب ليُبيّن أنّ الأرجح هو لفظ الحياة، وقال وهيب في روايته "مِن خردل مِن خير" والرواية التي معنا "خردل مِن إيمان" فدَلَّ ذلك على أنّ رواية "خردل مِن خير" أو "خردل مِن إيمان" أنّ المقصود بهما شيء واحد، وهذا التعليق وصله الإمام البخاريّ نفسه في كتاب الرِّقاق مِن صحيحه مِن رواية موسى بن إسماعيل عن وهيب بن خالد، وكذلك خَرَّجَه الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه لكنه لم يَسُقْ لفظَه وإنما خَرَّجَ إسناده.

والحديث الثاني قال: حدثنا محمد بن عبيد الله وهو أبو ثابت القرشي المدني، قال: حدثنا إبراهيم بن سعد وهو الزهري، عن صالح بن كيسان وهو مدني، وهذا تلقى العلم عن كِبَر، قد لقي عددًا مِن الصحابة ولكنه تلقى العلم في كِبَرِ سِنِّه ولهذا هو روى عن الإمام مالك مع أنه شيخ للإمام مالك رحمه الله، لأنهم ذكروا أنه طلب العلم حين جاز الستين، وهو ممن خُرِّجَ له في الكتب السِّتَّة وفي السُّنَن وفي غيرها، وحديثه معروف، وابن شهاب هو محمد بن مسلم بن شهاب الزهري الإمام المعروف التابعي الجليل، عن أبي أمامة بن سهل وهو أسعد بن سهل بن حنيف الأوسي وقد اختلف الناس في صحبته.

وهذا الحديث قال: قال فيه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "بينا أنا نائم رأيتُ الناس يُعرَضون عليّ وعليهم القُمُص، منها ما يبلغ الثُّديّ ومنها ما دون ذلك، وعُرِضَ عليَّ عمرُ بن الخطاب وعليه قميص يجرُّه، قالوا: ما أوّلتَ ذلك يا رسول الله؟ قال: الدين" أوَّلَه بالدين لأنّ الله تعالى قال: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ

خَيْرٌ﴾، ﴿يَابَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾[1] ففيه لباس يُكسى به الجسد وهو خيرٌ مِن ذلك اللباس، فلمّا جمعهم هذا الاسم أَوَّلُ النَّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم ما رآه مِن القمص بالدين، وما رآه النَّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم في رؤياه حقٌّ لأنّ رؤيا الأنبياء حقٌّ؛ فلمّا ذَكَرَ النَّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم تفاضلَ الناس في هذه القُمُص التي أَوّلها النَّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم بالدين دَلَّ ذلك على أنّ الناس هنا متفاضلون في الدين، وهذا الحديث الذي ذكره المؤلف خَرَّجَه أيضًا مسلم في صحيحه وسنده سندٌ مدني.

بَابٌ: الحَيَاءُ مِنَ الإِيمَانِ

- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِّ بْنُ يُوسُفَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِّ، عَنْ أَبِيهِ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ، وَهُوَ يَعِظُ أَخَاهُ فِي الحَيَاءِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعْهُ فَإِنَّ الحَيَاءَ مِنَ الإِيمَانِ».

.....

"بابٌ: الحياء مِن الإيمان" قال: حدثنا عبد الله بن يوسف وهو التنيسي المصري، وهو مِن رواة الموطأ وقد سمع البخاريّ منه موطأ الإمام مالك رحمه الله، وخَرَّجَ له البخاريّ ولم يُخَرِّج له مسلم، قال: حدثنا عبد الله بن يوسف، قال: أخبرنا مالك عن أنس عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب عن أبيه عبد الله بن عمر "أنّ النَّبيَّ صلّى الله عليه وسلّم مرَّ على رجل مِن الأنصار يعظ أخاه" وهذا الأخ قد يكون أخًا في النسب وقد يكون أخًا في الدين "وهو يعظ أخاه في الحياء، فقال النَّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم: دعه؛ فإنّ الحياء مِن الإيمان" فقوله "مِن الإيمان" مِن هنا تبعيضية، دَلَّ ذلك على أنّ الأعمال مِن الإيمان، والحياءُ عملٌ قلبي، فدَلَّ ذلك على أنّ أعمال القلوب مِن الإيمان، وهذا الحديث خَرَّجَه مسلم في صحيحه.

---

(١) الأعراف: ٢٦.

بَابٌ: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾(١).

- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهَّ بْنُ مُحَمَّدٍ المُسْنَدِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو رَوْحٍ الحَرَمِيُّ بْنُ عُمَارَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ وَاقِدِ بْنِ مُحَمَّدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُ عَنِ ابْنِ عُمَرَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُّ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهَّ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهَّ».

.....

قال: "بابٌ: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾" هذا الباب فيه بيان أنّ الإيمان لابُدّ فيه مِن القول ولابُدّ فيه مِن العمل لأنّ قولَه تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾(٢) لأنهم حينئذ آمنوا، لأنّ القتل يكون للكفار، تخليةُ السبيل يكون لِمن أسلم، فلمّا قال: "فإنْ تابوا" يعني رجعوا مِن الكفر إلى الإسلام، وقد بَيّنَ هذا الرجوعَ في الحديث الذي ساقه المؤلف رحمه الله "أمرتُ أنْ أقاتل الناس حتى يشهدوا أنْ لا إله إلّا الله وأنّ محمدًا رسول الله" فدَلَّ ذلك على أنّ قوله "فإنْ تابوا" أي آمنوا "فإنْ شهدوا أنْ لا إله إلّا الله وأنّ محمدًا رسول الله" وفي الآية الأخرى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾(٣) فهنا قال: "فخلوا سبيلهم" يعني لا تقتلوهم، فهم أظهروا الإسلام، وهذا الحكم - وهو التخلية - مرتبٌ على ثلاثة أشياء: على التوبة وهي "شهادة أنْ لا إله إلّا الله وأنّ محمدًا رسول الله"، والثاني: إقام الصلاة، والثالث: إيتاء الزكاة، فدَلَّ ذلك على أنّ الإيمان لا يكفي - والمؤلف كما قلنا يرى أنّ الإيمان والإسلام شيء واحد -، فدَلَّت هذه الآية وهذا الحديث على أنّه لا يكفي في الإيمان مجردُ القول! لأنّ بعضهم يقول: يكفي فيه مجرد القول لقوله صلّى الله عليه وسلّم: "أمرتُ انْ أقاتل الناس حتى يشهدوا أنْ لا إله إلّا الله؛ فإذا فعلوا ذلك فقد عصموا مني دماءهم" قالوا: هذا المرادُ به الكفّ إذا نطق بالشهادتين؛ ثم يُنظر في حاله بعد ذلك هل أقام الصلاة وآتى الزكاة أو لا؟ فإنْ لم يُقِم الصلاة ويؤت الزكاة فإنه يقاتل، ولهذا النَّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم إذا أراد أنْ يغزو قومًا انتظر؛ فإنْ سمع الأذان لم يقاتلهم

(١) التوبة: ٥.
(٢) التوبة: ٥.
(٣) التوبة: ١١.

عليه الصّلاة والسّلام، ولمّا امتنعَ المرتدون مِن الزكاة قاتلهم أبو بكر رضي الله عنه وبَيَّنَ أنه لا يُفرِّقُ بين الزكاة والصلاة، إذن فدَلَّ هذا التبويب على أنّ الإيمان قول وعمل بالجوارح؛ ولا يكفي القول! بل لابُدّ مِن العمل، فدَلَّ ذلك على أنّ القول والعمل أنهما كلاهما مِن الإيمان.

وقوله: حدثنا عبد الله بن محمد المسنَدي - بفتح النون - لأنه جمعَ المُسْنَد، ليس لأنه يُسنِد! ولكن جمع المسْنَد، الذي يُسند يقال: المسنِدي لكن هذا يقال: المسنَدي لأنه جمعَ المسند، قد خَرَّجَ له الإمامُ البخاريّ ولم يُخَرِّج له مسلم، قال: حدثنا أبو رَوح عن الحرمي أبو عمارة، الحرمي يجوز فيه إبقاء الألف واللام ويجوز حذف الألف واللام، الحرمي بن عمارة العتكي البصري، خَرَّجَ له البخاريّ ومسلم، قال: حدثنا شعبة بن حجاج عن واقد بن محمد بن زيد بن الخطاب وقد خَرَّجَ له الشيخان، عن أبيه محمد بن زيد بن الخطاب، قال: سمعت أبي وهو محمد بن زيد وخُرِّجَ له الكتب السِّتَّة، عن ابن عمر يقول الحديث، وهذا الحديث - كما تقدم - شارح للآية ومُبيّن لها.

بَابُ مَنْ قَالَ: إِنَّ الإِيمَانَ هُوَ العَمَلُ

لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَتِلْكَ الجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(١) وَقَالَ عِدَّةٌ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(٢) عَنْ قَوْلِ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَقَالَ: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ العَامِلُونَ﴾(٣).

- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ، وَمُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، قَالاَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ شِهَابٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ المُسَيِّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ: أَيُّ العَمَلِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: «إِيمَانٌ بِاللهِ وَرَسُولِهِ». قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ» قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «حَجٌّ مَبْرُورٌ».

.....

---

(١) الزخرف: ٧٢.
(٢) الحجر: ٩٣.
(٣) الصافات: ٦١.

هذا "باب مَن قال: إنَّ الإيمان هو العمل" بعض السلف يقول: الإيمان العمل؛ والعمل الإيمان، لأنهما متلازمان، ولا ينفك أحدهما عن الآخر، وهنا قال: "باب مَن قال: إنَّ الإيمان هو العمل لقول الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(١) " والنَّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم يقول: "واعلموا أنه لن يدخل الجنةَ إلّا نفس مؤمنة"(٢)، هنا قال: ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فدخولهم للجنة كان بسبب أعمالهم، فدَلَّ ذلك على أنّ العمل هو الإيمان.

"وقال عدة مِن أهل العلم في قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(٣) عن قول: لا إله إلّا الله" وهذا جاء مِن حديث أنس عند الترمذي مرفوعًا ولا يصح لأنّ فيه ليث بن أبي سُلَيم، لكنه جاء موقوفًا على بعض الصحابة والتابعين كابن عمر ومجاهد فسروا قولَه تعالى: ﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يعني: عن لا إله إلّا الله، ولا شك أنّ لا إله إلّا الله داخلة فيما يعملون - كما سبق وأنْ ذكرنا عن بعض العلماء أنه يرى أنّ القول مِن العمل - وممن نَصَّ على ذلك ابن مندة في كتابه الإيمان، وأيضًا ذَكَرَ قوله تعالى: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ العَامِلُونَ﴾(٤) أي: لِمِثْل هذا، اسم الإشارة عائد إلى ما أعطاه الله عزّ وجلّ للمؤمنين مِن الكرامة في الآخرة والنجاة مِن النار، قال: تعالى: ﴿فَلْيَعْمَلِ العَامِلُونَ﴾ يعني فليعمل العامل في الدنيا لنفسه كما عمل أولئك فأوجب اللهُ تعالى لهم بعملهم الجنةَ.

وقوله: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ العَامِلُونَ﴾(٥) أوجب اللهُ تعالى لهم بالعمل دخولَ الجنة؛ فدَلَّ ذلك على أنّ الإيمان الذي يدخل فيه الإنسانُ الجنةَ ليس هو مجرد الاعتقاد! وإنما مضاف إليه العمل، وهذه الآيات فيها عموم في العمل يشمل عمل الجوارح وعمل القلب، والحديث الذي ذكره وفيه "أيّ العمل أفضل؟ قال: إيمان بالله ورسوله؟ وهنا قال: يُراد بالإيمان بالله ورسوله يُراد به معنى الإقرار والتصديق، ومع ذلك سماه النَّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم عملًا لمّا سُئِل "أيّ العمل أفضل؟ قال: إيمان بالله" دَلَّ ذلك على أنّ الإيمان هو

(١) الزخرف: ٧٢.
(٢) سبق تخريجه.
(٣) الحجر: ٩٣.
(٤) الصافات: ٦١.
(٥) الصافات: ٦١.

العمل، "قيل: ثم ماذا؟ قال: الجهاد في سبيل الله، ثم ماذا؟ قال: حج مبرور" فكل هذه أعمال كما أنّ الإيمان عمل، المقصود بهذا الردّ على الذين يُخْرِجُون العمل عن مسمى الإيمان، فإذا كان الإيمان هو العمل؛ فلا يتحقق الإيمانُ إلّا بهذا العمل، وقد نَصَّ جمعٌ مِن أهل العلم مِن السلف على كفرِ مَن ترك العمل، يعني مَن قال: إنَّ الإيمان قول فقط! مَن قال: إنّ الأعمال غير داخلة في الإيمان! فقد كفر، نَصَّ على ذلك جماعةٌ مِن أهل العلم، وإنْ كان بعضُ مَن قال ذلك مِن مرجئة الفقهاء لهم تأويل منهم أئمة وعلماء وهؤلاء لا يُكَفّرون لأنّ لهم تأويل، حتى إنَّ في كلامهم ما حمل بعضَ أهل العلم – وهو أظنه لشيخ الإسلام ابن تيمية – أنّ الخلاف بينهم وبين جمهور العلماء خلاف لفظي وليس خلاف حقيقي، لكن يا إخوان عندنا مسألة العمل هذه مسألة مهمة والعلماء حينما يتكلمون عنها يطرأ على الإنسان سؤال، الآنْ لو جئنا إلى الأشاعرة وهم يأخذون برأي الجهم بن صفوان يرون أنّ التصديق هو المعرفة أو جئنا للكرامية أو جئنا للكلابية هؤلاء كلهم إذا رأيت في كتبهم يؤَثِّمون بترك الأعمال وبفعل الكبائر، فقد يطرأ سؤال يقول: ما الفرق بينهم وبين أهل السُّنَّة والجماعة؟ يقال: فيه فرق:

أولًا: أنّ أهل السُّنَّة والجماعة عندهم الإيمان يزيد وينقص؛ وهؤلاء عندهم الإيمان لا يزيد ولا ينقص! هذا واحد.

الأمر الثاني: أنّ أهل السُّنَّة والجماعة لا يجعلون تاركَ الفرائض كمرتكب الكبائر، أولئك يقولون: تارك الفرائض كمرتكب الكبائر؛ وأهل السُّنَّة يقولون: تارك الفرائض ليس كمرتكب الكبائر، ترك الفرائض كفرٌ يقصدون به على جهة العموم، تركُ الفرائض كفرٌ، يعني مَن ترك الفرائض كلها كَفَرَ – وإنِ اختلفوا في آحادها – فهم يتكلمون عن العموم، وأمّا فعل الذنوب فهو معصية فلا يكفر فيه صاحبها، لذا قال الله تعالى: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾[1]، أما اليهود كانوا يعرفون النَّبيَّ صلّى الله عليه وسلّم ولكنهم لم يؤمنوا به؛ فكفّرهم اللهُ تعالى فلم تُغْنِ عنهم المعرفةُ! وفرعون كان يعرف ربَّه فجحده فلم تُغْنِ عنه المعرفة فكَفّره الله تعالى، إذن انتبهوا، أهل السُّنَّة والجماعة يقولون: إنَّ الإيمان يزيد وينقص، ويقولون: ترك الفرائض ليس كفعل الكبائر، ويقولون: مسألة التخليد في النار لأنّ الأشاعرة وغيرهم – هم وإنْ أثَّموا تارك الفرائض

(١) طه: ١٢١.

وفاعل المنكرات – لكنه لا يُخَلَّدُ في النار، أما عندنا أهل السُّنَّةِ إذا ترك الفرائض؛ تركُ الفرائض تخليدُه في النار، لأنه يكون بترك الفرائض كافرًا خارجًا مِن الملة، والمقصود ليس هو فريضة بعينها! ولكن المقصود جنس الفرائض عند العلماء، وقد نَصَّ على ذلك سفيان بن عيينة واسحاق بن راهويه وغيرهما، فهذه المسألة ينبغي التنبه لها في مسألة الإيمان، نختم قبل أنْ نتوقف نختم بإسناد هذا الحديث الذي ذكره المؤلف قال: حدثنا أحمد بن يونس وهو أحمد بن عبد الله بن يونس، قد أطلق عليه الإمام أحمد شيخَ الإسلام كما أطلقه على شيخه يزيد بن هارون، وهذا مُخَرَّج له في الكتب السِّتَّة، قال: عن موسى بن إسماعيل وهو المنقري؛ أبو سلمة التبوذكي، وقد خَرَّجَ عنه أصحاب الكتب السِّتَّة، قال: حدثنا إبراهيم بن سعد الزهري سبط عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه، قال: حدثنا ابن شهاب محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، عن سعيد بن المسيب الإمام المعروف الشهير عن أبي هريرة، وذكر هذا الحديث، وهذا الحديث أيضًا خَرَّجَه مسلم في صحيحه.

بَابُ إِذَا لَمْ يَكُنِ الإِسْلاَمُ عَلَى الحَقِيقَةِ، وَكَانَ عَلَى الاِسْتِسْلاَمِ أَوِ الخَوْفِ مِنَ القَتْلِ

لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾(١) فَإِذَا كَانَ عَلَى الحَقِيقَةِ، فَهُوَ عَلَى قَوْلِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ﴾(٢) [وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ].

– حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عَامِرُ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنْ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْطَى رَهْطًا – وَسَعْدٌ جَالِسٌ – فَتَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا هُوَ أَعْجَبُهُمْ إِلَيَّ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَكَ عَنْ فُلاَنٍ؛ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤْمِنًا؟ فَقَالَ: «أَوْ مُسْلِمًا» فَسَكَتُّ قَلِيلًا، ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَعْلَمُ مِنْهُ، فَعُدْتُ لِمَقَالَتِي، فَقُلْتُ: مَا لَكَ عَنْ فُلاَنٍ؟ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤْمِنًا؟ فَقَالَ: «أَوْ مُسْلِمًا» ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَعْلَمُ مِنْهُ فَعُدْتُ لِمَقَالَتِي، وَعَادَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ

---

(١) الحجرات: ١٤.

(٢) آل عمران: ١٩.

قَالَ: «يَا سَعْدُ إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ، وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ، خَشْيَةَ أَنْ يَكُبَّهُ اللهُ فِي النَّارِ» وَرَوَاهُ يُونُسُ، وَصَالِحٌ، وَمَعْمَرٌ، وَابْنُ أَخِي الزُّهْرِيِّ، عَنِ الزُّهْرِيِّ.

.....

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وصلى الله وسلم وبارك على رسول الله وعلى آله وصحبه ومَن اهتدى بهداه.

هذا الباب معقودٌ للرَّدِّ على المرجئة الذين يرون أنّ الإيمان يكفي فيه القول فقط، ولهذا قال الإمام البخاري: "بابٌ إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة" ويريد بالحقيقة هنا الحقيقة الشرعية، "وكان على الاستسلام أو الخوف مِن القتل" بمعنى أنه كان الإسلامُ مجردَ استسلام وانقياد في الظاهر فقط؛ وليس هو إيمانًا في الباطن! واستشهد بقول الله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾[1] وهذا على أحد الوجهين في المراد بهؤلاء الأعراب هل هم كانوا مِن المنافقين فأظهروا الإسلام وبواطنهم كافرة؟ أم أنّ هؤلاء كانوا مِن أهل الإيمان ولكنهم كان إيمانُهم ضعيفًا؟ للعلماء فيها مذهبان، والإمام البخاريّ رحمه الله يرى أنهم كانوا منافقين، كما هو رأي طائفة مِن السلف يرى أنهم كانوا منافقين فأظهروا الإسلام، فالله جلّ وعلا قال عنهم: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾[2] بمعنى استسلمنا في الظاهر؛ وأما الإيمان فقد نفاه عنهم لأنهم لم يجمعوا إلى القول اعتقادًا صحيحًا بمعنى أنهم قالوا ذلك بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم، ومَن قال بلسانه ولم يؤمن قلبه؛ فليس بمسلم، والبخاريّ رحمه الله يرى أنّ الإسلام والإيمان شيءٌ واحدٌ، ولهذا لمّا قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾[3] نفى عنهم الإسلام الحقيقي وأثبت لهم الاستسلام الظاهر، فدَلَّ ذلك على أنّ القول لا ينفع إذا لم يكن ثمة اعتقاد صحيح يجتمع إلى هذا القول.

ثم ذَكَرَ قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ﴾[4] وهو يشير بهذا إلى أنّ الإسلام على نوعين:

---

(١) الحجرات: ١٤.

(٢) الحجرات: ١٤.

(٣) الحجرات: ١٤.

(٤) آل عمران: ١٩.

نوع هو استسلام في الظاهر مع كفر في الباطن، وهذا مجرد استسلام، وهو أنْ يُطلق عليه الإسلام إلّا أنه ليس بالإسلام الحقيقي المراد شرعًا الذي يُنجّي العبدَ يوم القيامة.

النوع الثاني: هو الإسلام الذي هو بمعنى الإيمان، وهو ما جمع فيه العبد مع إسلامه الظاهر جمع إلى ذلك إيمانَه الباطن، فهذا هو الدين ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلاَمُ﴾ يعني أنّ هذا هو الدين المقبول وأما الآخر فهو دين مردود على صاحبه، ثم ذَكَرَ قال: حدثنا أبو اليمان وهو الحكم بن نافع، قال: أخبرنا شعيب بن أبي حمزة عن الزهري قال: أخبرني عامر بن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما، وهؤلاء الرواة كلهم مُخَرَّجٌ لهم في الصحيحين والسُّنَن، عن سعد بن أبي وقاص "أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أعطى رهطًا – وسعد جالس – فترك رسول الله رجلًا هو أعجبهم إليّ، فقلت: يا رسول الله؛ ما لك عن فلان فوالله إني لأراه مؤمنًا؟" هنا "لأَراه" رجح أهل العلم أنها بفتح الهمزة بمعنى أعلم لدلالة أنّ سعدًا راجع النَّبيَّ صلّى الله عليه وسلّم، لأنّ هذه اللفظة تضبط بالضم "إني لأراه" لأظنه "وإني لأَراه" أي أعلمُه، فإذا وجدتِ القرينة المرجحة لأحد الطرفين كان النطق على حسب ما ترجحه القرينة، وهنا لمّا راجع سعدٌ النَّبيَّ صلّى الله عليه وسلّم في هذا الرجل دَلَّ ذلك على أنّ سعدًا يعتقد في نفسه اعتقادًا جازمًا أنّ هذا الرجل مؤمن، ولهذا قال: "إني لأَراه مؤمنًا" فقال النَّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم: "أو مسلمًا" على رأي البخاريّ رحمه الله في تبويب هذا الحديث "أو مسلمًا" أي أنه مظهرٌ للإسلام ولم يؤمن بقلبه، فقال للنَّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم: "إني لأراه مؤمنًا" قال: "أو مسلمًا" يعني أنه مستسلم في الظاهر ولا تشمله حقيقة الإسلام الذي هو المذكور في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلاَمُ﴾(١).

وهذا الحديث خَرَّجَه الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه.

بعض أهل العلم – طبعًا كما هو معلوم – يرى أنّ هذه الآية والحديث في قوم مؤمنين؛ ولكن كان إيمانُهم ضعيفًا؛ فيُستدل بها على أنّ الناس متفاوتون في الإيمان، منهم مَن إيمانه ضعيف ومنهم مَن إيمانه قوي، فهي دليل للبخاري – على رأيه – ودليل لكثير مِن السلف على رأيهم في أنّ الإيمان والإسلام يجتمعان ويفترقان،

(١) آل عمران: ١٩.

وفي هذه الصورة في الآية ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا﴾ وفي الحديث اجتمع الإيمان والإسلام فيُفَسَّرُ ـ كلٌّ واحد منهما بتفسيره الذي جاء في الشرع.

قال: ورواه يونس، وهذه الرواية المعلقة وصلها عبد الرحمن بن عمر الزهري المعروف بـ "رسته" في كتابه الإيمان، وهذا يونس هو يونس بن يزيد الأيلي، وصالح وهو ابن كيسان، وهذا التعليق وصله المؤلف رحمه الله في كتابه الزكاة مِن صحيحه، ومعمر هو معمر بن راشد، وهذه الرواية وصلها أحمد والحميدي كما وصلها أيضًا مسلم في صحيحه، وابن أخي الزهري وهو محمد بن عبد الله بن مسلم الزهري، وروايته خَرَّجَها مسلم في صحيحه.

بَابٌ: إِفْشَاءُ السَّلاَمِ مِنَ الإِسْلاَمِ

قَالَ عَمَّارٌ: "ثَلاَثٌ مَنْ جَمَعَهُنَّ فَقَدْ جَمَعَ الإِيمَانَ: الإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِكَ، وَبَذْلُ السَّلاَمِ لِلْعَالَمِ، وَالإِنْفَاقُ مِنَ الإِقْتَارِ".

- حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، قَالَ: حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ أَبِي الخَيْرِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو؛ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الإِسْلاَمِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلاَمَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ».

.....

قال: "بابٌ: إفشاء السلام مِن الإسلام" إفشاء السلام معناه إظهاره وإشاعته، وهنا قال: "باب إفشاء السلام مِن الإسلام" وفي باب سبق "باب إطعام الطعام مِن الإسلام" وفي بعضها ذَكَرَ بعض الأشياء أنها مِن الإيمان، قال العلماء: وهذا فيه أنّ البخاريّ لا يُفَرِّق بين الإسلام والإيمان بل يجعل معناهما معنى واحدًا، وإفشاء السلام هو عمل للمكلف، وهو مِن عمل جوارحه، وعلى هذا "باب إفشاء السلام" إما أنْ يكون إفشاؤه مِن باب الأعمال أو مِن باب الأقوال، إنْ قلنا: إنه لفظ؛ والإيمان قول وعمل؛ فيدخل في القول، وإنْ قلنا: إنَّ الأعمال تَعُمُّ ما سوى نطق الشهادتين أيضًا هو يدخل في باب العمل، والشاهد منه أنَّ هذا الباب

يَدُلُّ على أنّ الإيمانَ ليس هو مجردُ اعتقادِ القلب فقط! أو التصديق والمعرفة كما تقوله الجهمية والاشاعرة! بل الأعمال – أعمال الجوارح – مِن الإيمان.

قال عمار: "ثلاث مَن جمعهن فقد جمع الإيمان" هذا الأثر – أثرُ عمار بن ياسر رضي الله عنه – خَرَّجَه عبد الرزاق وأحمد في كتاب "الإيمان" ويعقوب بن شيبة في مسنده وابن حبان في "روضة العقلاء"، وقد جاء مرفوعًا لكن خَطَّأَ أبو زرعة وأبو حاتم الروايةَ المرفوعةَ وإنما هو موقوف على عمار بن ياسر رضي الله عنه، وقوله "ثلاث مَن جمعهن فقد جمع الإيمان: الإنصاف مِن نفسك" والإنصاف مِن النفس معناه أنْ يأتي الإنسان بالحق الذي عليه قبل أنْ يُطلبَ منه، وهذا يدخل فيه حق الله وحق الناس، "وبذل السلام للعالَمِ" إلّا مَن حرَّم الله تعالى السلامَ عليهم أو بداءتهم بالسلام مِن اليهود والنصارى وغيرهم مِن الكفار، "والإنفاق مِن الإقفار" يعني الإنفاق مع الفقر، فبَذْلُ السلامِ مِن مكارم الأخلاق، والإنفاق مع الإقلال يَدُلُّ على غاية الكرم، هذا قول عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنه، وأنتم ترون أنّ هذه الأشياء قال: "جمع الإيمان" هذا لفظ الإيمان، الإنصاف مِن نفسك وبذل السلام والإنفاق مِن الإقتار، وهذه كلها مِن الأعمال، فدلَّ ذلك على دخول الأعمال في مسمى الإيمان، والشاهد منه في الأثر قوله "بذل السلام للعالم" الذي هم معنى إفشاء السلام الذي بوّب عليه المؤلف رحمه الله تعالى.

قال المؤلف: حدثنا قتيبة وهو ابن سعيد البغلاني شيخ لأصحاب الكتب السِّتَّة كلها ومِن الحفاظ المتقنين، حدثنا الليث بن سعد المصري إمام أهل مصر في وقته، عن يزيد بن أبي حبيب وهذا قد تقدم، عن أبي الخير وهو مرثد بن أبي مرثد وقد تقدم، عن عبد الله بن عمرو أنّ النَّبيَّ صلّى الله عليه وسلّم سُئِل: "أيُّ الإسلام خير؟" وهذا الحديث خَرَّجَه أيضًا مسلم والمؤلف رحمه الله تعالى قد ذكره فيما سبق لكن اختلف فيه شيخه ههنا، فشيخه هنا قتيبة بن سعيد وفي الحديث الأول عمرو بن خالد الحراني.

بَابُ كُفْرَانِ العَشِيرِ، وَكُفْرٍ بَعْدَ كُفْرٍ

فِيهِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْلَمَةَ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُرِيتُ النَّارَ؛ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ، يَكْفُرْنَ» قِيلَ: أَيَكْفُرْنَ بِاللهِ؟ قَالَ: «يَكْفُرْنَ العَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ».

.....

الإيمان مقابله الكفر، والكفر في الشرع جاء إطلاقه على ما ينقل مِن الملة وجاء إطلاقه على ما لا ينقل مِن الملة، فدَلَّ ذلك على أنّ الكفر منه ما هو مجامع للإيمان ومنه ما لا يجامع الإيمان، فما كان يناقض أصل الإيمان فهو كفرٌ مُخْرِج مِن المِلّة ناقل عنها، وما لم يكن كذلك فهو مِن شعب الكفر لكنه لا يُخَرِّج مِن الملة.

في هذا الباب قال: "باب كفران العشير "وفيه فرْق بين إطلاق الكفر وتقييد الكفر، فهنا ذَكَرَ "باب كفران العشير وكفر بعد كفر" وهناك نسخ "كفرٌ دون كفرٍ"، قوله "كفرٌ دون كفرٍ" هذا مقتبس مما جاء عن بعض السلف ومنهم عطاء رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾(١) "كفرٌ دون كفرٍ"(٢) قال ابن عباس في هذه الآية - فيما رواه الحاكم وصححه - "ليس الكفر الذي ينقل مِن الملة" هو كفرٌ دون كفرٍ، ومعنى ذلك أنّ الكفر مراتب كما أنّ الإيمان مراتب، والكفر قد يأتي مقيدًا كما في قوله "كفران العشير"، والعشير يُراد به الزوج المعاشر للزوجة.

وذكر فيه حديثَ أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنّ النَّبيَّ صلّى الله عليه وسلّم ولم يسق متنه ولا إسناده وهو قد خَرَّجَه في كتاب الحيض وغيره مِن المواضع مِن حديث أبي سعيد لَمّا قال النَّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم للنساء: "تصدقنّ إني رأيتكنّ أكثر أهل النار! فقلن: لِمَ يا رسول الله؟ قال: تُكثرنَ اللعن وتكفرن العشير" فقوله: "تكفرن العشير" هذا مقيد، كفران العشير وهو كفران نعمة لا ينقل مِن الملة.

الحديث الثاني - عبد الله بن مسلمة وهو القعنبي وقد تقدم - عن مالك عن زيد بن أسلم وأبو أسامة القرشي العدوي مولى آل عمر رضي الله عنه وهو مُخَرَّج له في الكتب السِّتَّة، عن عطاء بن يسار الهلالي مولى

(١) المائدة: ٤٤.

(٢) صحيح. تفسير الطبري (١٢٠٤٧). يُنظر الصحيحة (٦/ ١١٤).

ميمونة أم المؤمنين رضي الله عنها وهو ثقة مِن الثقات المعروفين ومُخَرَّج له في كتب السُّنَّةِ ومنها الكتب السِّتَّة، عن ابن عباس أنّ النَّبيَّ صلّى الله عليه وسلّم قال: "أُريتُ النارَ؛ فإذا أكثر أهلها النساء يكفرن" وفي بعض النسخ "بكفرهنَّ" فهنا النَّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم أطلق الكفرَ، في الأول ذَكَرَ كفران "يكفرن العشير" وهنا أطلق الكفر، قال: "بكفرهنَّ" الصحابة رضي الله تعالى عنهم استفسروا مِن النَّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم أيكفرن بالله؟ وهذا دليل على أنّ الصحابة رضي الله عنهم كانوا يعلمون أنّ مِن الكفر ما هو ناقل ومِن الكفر ما ليس بناقل، لأنهم لو كان الكفر لا يطلق إلّا على شيء واحد؛ لعَلِمَه الصحابة ولم يستفسروا مِن النَّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم! لكن لمّا كان قوله "بكفرهنَّ" أو "يكفرن" والكفر له مراتب استفسر الصحابةُ رضوان الله عليهم أيكفرن بالله؟ فقال النَّبيُّ صلى اله عليه وسلم: "يكفرن العشير ويكفرن الإحسان" فدَلَّ ذلك على أنّ هناك كفرٌ دون كفرٍ؛ وأنّ الشارع إذا أطلق الكفر فإذا كان مناقضًا لأصل الإيمان فهو مُخْرِج مِن المِلّة؛ وإنْ لم يكن كذلك فهو مِن الذنوب والمعاصي لكن لا يُخَرِّج الإنسانَ مِن الملة، وهذا فيه رَدٌّ على الذين يحملون الكفرَ على الخروج مِن الملة مِن الخوارج وغيرهم، كلما رأوا كلمة الكفر في الكتاب والسُّنَّة حملوها على الكفر الناقل مِن الملة! والصحابة رضي الله عنهم هنا سألوا "بكفرهنّ؟" هذا دليل على أنَّ الصحابة كانوا يعرفون أنَّ الكفر على مراتب؛ فاستفصلوا مِن النَّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم هل هو الكفر بالله الناقل مِن الملة؟ أو هو مِن النوع الآخر الذي لا ينقل مِن الملة؟ فعندئذٍ يجب على الإنسان وهو ينظر في النصوص الشرعية أنَّ يتأمل هل هو مناقضٌ لأصل الإيمان أو لا؟ وما ضَلَّتِ الخوارج إلّا بسبب هذه المسألة؛ فإنَّهم حملوا هذه الألفاظ على أنَّه كفرٌ بالله وأخرجوه مِن الملة، وقالوا: لا يجتمع الكفر مع الإيمان، وهذا كما ترون مخالفٌ لِمَا ثبت عن النَّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم، إذن هذا الباب واضح في سياق المؤلف رحمه الله تعالى له في كتاب الإيمان.

بَابٌ: المَعَاصِي مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ، وَلاَ يُكَفَّرُ صَاحِبُهَا بِارْتِكَابِهَا إِلَّا بِالشِّرْكِ

لِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ»، وَقَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾(١).

- حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ وَاصِلٍ الأَحْدَبِ، عَنِ المَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ، قَالَ: لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ وَعَلَى غُلاَمِهِ حُلَّةٌ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ؛ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ».

.....

هذا "بابٌ المعاصي مِن أمر الجاهلية، ولا يكفرُ صاحبُها - أو ولا يُكفَّرُ صاحبُها - بارتكابها إلّا بالشرك" قول المؤلف: "ولا يكفر صاحبها بارتكابها" لبيان أنَّ الارتكاب شيءٌ والاعتقادُ شيء، فمَن ارتكب المعصية دون اعتقاد حلِّها فلا يكفر، لكن إذا اعتقد حِلَّها ولو لم يرتكبها فقد كفر، فنصَّ على الارتكاب لأنَّ مجرد الارتكاب لا يعني الكفر، ولهذا يخطأ بعض الناس إذا رأى أحدًا يرتكب معصية ويداوم عليها ويستمر قال: إنَّه لم يفعلها إلّا استحلالًا! فيُكفّره بذلك، وهذا شأنّ الخوارج اليوم، هكذا، يقولون عن مرتكب المعاصي المستمر عليها، الإنسان ممكن يرتكب المعاصي المستمر عليها، ممكن يتعامل بالربا ثلاثين أربعين سَنَة، ما هداه الله إلى التوبة، أو يفجر يكون خمَّارًا أو يكون مِن أهل الزنا والفواحش والمنكرات لا يعني ذلك أنَّه يستحلها! لا، الاستحلال إما أنْ يُحِلَّ ما حرَّم الله بلسانه وإنْ كان في قلبه خلاف ذلك؛ وإلّا يعتقد حِلَّها بقلبه، اعتقاد حلِّها بقلبه ولم يظهره؛ فلا سبيل لأحدٍ عليه - لا إلى تكفيره ولا إلى إقامة الحكم عليه -، لكن إذا أظهرها؛ إذا حرَّم شيئًا معلومًا حِلُّهُ مِن الإسلام بالضرورة أو العكس أَحَلّ شيئًا قد عُلِمَ تحريمُه مِن الإسلام بالضرورة فإنَّه يكفر وإنْ كان يعتقد بباطنه موافقة القرآن - جادًا أو هازلًا -، أما مجرد الارتكاب فلم يقل أحدٌ مِن أهل العلم إنَّه يكفر به ولو استمر عليه سنين طويلة، الرجل الذي كان يشرب خمرًا في عهد النَّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم قال الصحابي: "لعنه اللهُ ما أكثر ما يؤتى به!" يعني أنَّه مستمر عليها،

(١) النساء: ٤٨.

فقال النَّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم: " لا تلعنه، أما علمتَ أنَّه يحب الله ورسوله؟"(١) فأثبت له الإيمان مع تكرار المعصية واستمراره عليها، فيجب التَّنبُّه لهذا.

هذا "بابٌ المعاصي مِن أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها" يعني أنَّ المعاصي مِن أمرِ الجاهليـة، وذلـك أنَّ الجاهلية إما لعدم العلم بالحكم أو مخالفة الحكم بعد العلم به، فهذا كله جاهلية، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَـةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾(٢) فسمى مخالفتهم للشرع – مع علمهم بالحكم – جهالةً، ولهذا قالوا: تطلق الجهالة على شيئين: على عدم العلم بالحكم أصلًا؛ وعلى مخالفة الحكم بعد العلم به، وقوله هنا "مِن أمر الجاهلية" يعني مِن شأنّ الجاهلية الأولى، المعاصي مِن أفعال الجاهلية، ومـا نُسـب إلى الجاهلية فهو مذموم شرعًا، لأنَّه يكون مِن صفات الكفار، إذن أمرُ المعاصي يعني مِن الكفر، فدلَّ ذلك عـلى أنَّ الإنسان – وإنْ وجدتْ فيه شعب الكفر – إلّا أنَّه لا يكفر، قد توجد فيه شـعبة أو شُـعبتان أو أكثـر مِـن شُعب الكفر ولا يكفر بذلك، وهذا تأكيدٌ للباب السابق "بابٌ: كفران العشير" لأنَّ هذا الباب الـذي معنـا كأنَّه بيان للباب السابق لأنَّه أطلق هناك لفظ الكفر ثم أطلق هنا قال: "باب المعـاصي" فـدلَّ ذلـك عـلى أنَّ المعصية – وإنْ أطلق عليها اسم الكفر أو أضيفت إلى الجاهلية – فإنَّ صـاحبها لا يكفـر إذا ارتكبهـا، لكـن بضميمة أنْ لا يكون مستحلًا لها، وفي هذا رَدٌّ على الخوارج الذين يُكَفِّرون بالذنوب ويرَون أنَّ الإيـمان شيءٌ واحدٌ لا يتبعض!

ذَكَرَ حديث سليمان بن حرب وهو أبو أيوب الأزدي البصري، قال: حدثنا شعبة عن واصـل الأحـدب وهو واصل بن حيان الأحدب الأسدي الكوفي، قال: عن المعرور وهو معـرور بـن سـويد الكـوفي، كلهـم مُخَرَّج لهم مِن الكتب السِّتَّة، قال: لقيتُ أبا ذر رضي الله عنه بالربذة – وهو مكان قريب مِن المدينـة – وعليـه حُلّة، وذَكَرَ الحديث، والشاهد منه قولُ النَّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم لأبي ذر: "إنك امرؤ فيك جاهلية" لأنّ أبا ذر عَيَّره بأمه، إما قال له: "ابن الأعجمية أو ابن السوداء" أو غير ذلك مِن الألفاظ، وهذا تعيـير ذمٌّ؛ فـالنَّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم قال: "إنك امرؤ فيك جاهلية" أي فيك خصلة مِن خصال الجاهليـة، ولم يحكـم النَّبـيُّ

(١) صحيح البخاري (٦٧٨٠) من حديث عمر رضي الله عنه مرفوعًا.
(٢) النساء: ١٧.

بكفره، ما حكم النَّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم بكفره! كما لم يحكم بكفر مَن ارتكب المعاصي، الذي شرب الخمر لم يحكم بكفره، الذي زنى أقام عليه الحد ولم يكفره! الذي سرق قطع يده ولم يكفره! وهكذا، دَلَّ ذلك على أنّ المعصية قد تجتمع مع الإيمان؛ وأنّ شعب الكفر ليست هي بكفر؛ وإنما قد تكون بعض شعبها مكفرة وقد لا تكون مكفرة، وإنْ كانت تنقص الإيمانَ.

وهذا الحديث خَرَّجَه أيضًا الإمام مسلم رحمه الله تعالى وفيه رَدٌّ على الخوارج، وقبل ذلك الآية التي ذكرها وهي قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَّ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[1] وما دون الشرك هي الذنوب والمعاصي، فكانت تحت مغفرة الله تعالى – إنْ شاء غفرها وإنْ شاء لم يغفرها لعبدها إذا وافاه الأجل وهو مقيم عليها ليس بتائب إلى ربه جلّ وعلا –، وهذا أصل عند أهل السُّنَّة والجماعة وهو أنّ ما دون الشرك لا يكفر به صاحبُه لأنّ الله تعالى يغفره، والذي لا يُغفر هو الشرك، فإذا كان الشيء قد يغفره الله تعالى إذا وافى العبد ربَّه به مِن هذه الذنوب؛ فإنه لا يكون كفرًا؛ والذي لا يغفر هو الشرك، دَلَّ ذلك على أنّ الذنوب والمعاصي لا تُخَلِّدُ صاحبَها في النار – كما تقوله المعتزلة والخوارج – ولا تسلب عن صاحبها اسمَ الإيمان؛ ولكنها في الوقت نفسه تنقص الإيمان بما رتب الله عزّ وجلّ عليها مِن الوعيد.

بَابُ ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾[2] فَسَمَّاهُمُ الْمُؤْمِنِينَ

– حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْمُبَارَكِ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، حَدَّثَنَا أَيُّوبُ وَيُونُسُ، عَنِ الحَسَنِ، عَنِ الأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ، قَالَ: ذَهَبْتُ لِأَنْصُرَ هَذَا الرَّجُلَ، فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرَةَ فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قُلْتُ: أَنْصُرُ هَذَا الرَّجُلَ، قَالَ: ارْجِعْ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِذَا التَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالقَاتِلُ وَالمَقْتُولُ فِي النَّارِ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهَّ هَذَا القَاتِلُ؛ فَمَا بَالُ المَقْتُولِ؟ قَالَ: «إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ».

.....

(١) النساء: ٤٨.

(٢) الحجرات: ٩.

"باب ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾" قال البخاري: فسماهم المؤمنين، الباب السابق كان فيه حكم مرتكب المعصية وأنّه لا يكفر، وهنا فيه تحقيق اسم الإيمان له مع ارتكابه المعصية، لكن هنا ليس المراد به أنه يُعطى الاسمَ المطلقَ للإيمان! لكنه يدخل في مطلق المؤمنين.

قال: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ قال البخاري: "فسماهم المؤمنين" يعني مع اقتتال الطائفتين، والاقتتال مِن الكبائر؛ ومع ذلك سمى الله تعالى الطائفتين سماهما مؤمنين ولم يسلب عنهم هذا الاسم؛ فدَلَّ ذلك على أنّ الإنسان يطلق عليه هذا الاسم - وهو الإيمان - وإنْ كان مرتكبًا لشيء مِن كبائر الذنوب، وفي هذا رَدٌّ على الخوارج الذين يسلبونه اسمَ الإيمان؛ وأيضًا رَدٌّ على المعتزلة الذين يقولون: ليس بمؤمن ولا كافر؛ بل هو منزلة بين المنزلتين!

قال: حدثنا عبد الرحمن بن المبارك وهو العيشي؛ أبو بكر البصري، خَرَّجَ له البخاريّ ولم يُخَرِّج له مسلم، قال: حدثنا حماد بن زيد بن درهم البصري، حدثنا أيوب بن أبي تميمة السختياني، ويونس وهو بن عبيد البصري، عن الحسن البصري رضي الله عنه، عن الأحنف بن قيس، الأحنف لقب له واسمه الضحاك وإنما لقب بالأحنف لاعوجاج في رجله، والذي فيه اعوجاج في رجله يقال له: الأحنف، وهو مخضرم أدرك النَّبيَّ صلّى الله عليه وسلّم لكن لم يره.

قال: "ذهبتُ لأنصر هذا الرجل" يريد به رجلًا مِن قومه؛ فلقيني أبو بكرة، وهو الصحابي الجليل نفيع بن الحارث الثقفي، "قال: أين تريد؟ قلتُ: أنصرُ هذا الرجل" والرجل هذا قد يكون مِن قومه وقد يحتمل أنْ يكن يريد به عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه في القتال، وهذا هو الأَوْلى لأنّ عند الإمام البخاريّ رحمه الله رواية في الفتن جاء فيها أنه ذَكَرَ أنه يريد نصرة ابن عم رسول الله يعني به عليّ بن أبي طالب - وإنْ لم يقع التصريح بالاسم -، "قال: ارجع؛ فإني سمعت رسول الله يقول: إذا التقى المسلمان بسيفيهما؛ فالقاتل والمقتول في النار" وجه الدلالة منه ظاهر لأنّ النَّبيَّ صلّى الله عليه وسلّم سمى المتقاتلين مسلمين؛ فلم يسلب عنهم هذا الاسم، بل بقيا مسلمين مع تقاتلهما، وهذا مثله مثل الآية الكريمة التي مَرّت وترجم بها المؤلف للباب، وهذا ظاهر، وهذا الحديث خَرَّجَه مسلم في صحيحه وإسناده إسناد بصري.

بَابٌ: ظُلْمٌ دُونَ ظُلْمٍ

- حَدَّثَنَا أَبُو الوَلِيدِ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، ح قَالَ: وحَدَّثَنِي بِشْرُ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ سُلَيْمَانَ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾(١) قَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّنَا لَمْ يَظْلِمْ؟ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾(٢).

.....

"بابٌ: ظلم دون ظلم" وهذا - كما تقدم - كفرٌ دون كفرٍ، الظلم في الشرع منه ما هو مُخْرِج مِن المِلّة ومنه ما هو دون ذلك لا يُخَرِّج مِن الملة، فالمؤلف رحمه الله يؤكد هذا يعني أنّ الظلم يجتمع مع الإيمان وهناك ظلم لا يجتمع مع الإيمان إذا كان يناقض أصل الإيمان مثل الشرك وهو ظلم؛ فلا يجتمع مع الإيمان.

قال: حدثنا أبو الوليد وهو هشام بن عبد الملك الطيالسي، قال: حدثنا شعبة وهو ابن الحجاج، ح قلنا: هذه الحا للتحويل، قال البخاري: حدثني بشر هو ابن خالد العسكري خَرَّجَ له الشيخان، قال: حدثنا محمد وهو محمد بن جعفر غندر، عن شعبة عن سليمان وهو ابن مهران الأعمش، عن إبراهيم وهو يزيد بن قيس النخعي، حديثه مُخَرَّج عند الشيخين وأصحاب السُّنَن، عن علقمة وهو ابن قيس أيضًا وحديثه مُخَرَّج في السُّنَن أيضًا وفي الصحيحين، عن عبد الله قال: لَمّا نزلتْ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾(٣) قال أصحاب رسول الله: وأينا لم يظلم نفسه؟ فأنزل الله: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾(٤) الصحابة رضي الله عنهم فهموا العموم مِن الظلم؛ فبَيّن لهم النَّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم أنّ الظلمَ الذي أراده الله عزّ وجلّ بهذا هو الظلم المُخْرِج مِن المِلّة وهو الإشراك بالله؛ فدَلَّ ذلك على أنّ الظلم مراتب، لأنّ الصحابة رضي الله عنهم ما فهموا منه أنه فقط الظلم المُخْرِج مِن المِلّة! قالوا: وأينا لم يظلم نفسه؟ المعاصي ظلم، الكبائر ظلم، الصغائر ظلم، ترك الفرائض ظلم، الشرك بالله ظلم، هذه كلها ظلم، فالصحابة رضي الله عنهم عمَّمُوا، والظلم في الشرع تارة يطلق على ما يَجتمع مع الإيمان مثلما قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا

(١) الأنعام: ٨٢.
(٢) لقمان: ١٣.
(٣) الأنعام: ٨٢.
(٤) لقمان: ١٣.

فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾[1] ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ وهم أهل هذه الملة، ثم بَيَّن الله عزّ وجلّ أقسامهم الثلاثة، فمنهم ظالم لنفسه؛ فدَلَّ هذا على أنّ الظلم يجتمع مع الإيمان، وفيه ظلم لا يجتمع مع الإيمان مثل: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[2]، ﴿وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ﴾[3]، وفي الآية ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾[4] الصحابة ذكروا أنه ظلموا أنفسهم؛ بَيَّنَ النَّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم أنَّ الظلم الذي أراده الله تعالى هنا هو الشرك الذي يناقض الإيمانَ؛ فدَلَّ هذا على أنّ مِن تمام الإيمان أنْ يجتنب الإنسان الظلم؛ وأنّ المعاصي تنقص الإيمان؛ وأنّ هناك ظلم مُخْرِج مِن المِلّة وهناك ظلم لا يُخَرِّج مِن الملة.

بَابُ عَلاَمَةِ المُنَافِقِ

- حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ أَبُو الرَّبِيعِ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا نَافِعُ بْنُ مَالِكِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ أَبُو سُهَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " آيَةُ المُنَافِقِ ثَلاَثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ».

- حَدَّثَنَا قَبِيصَةُ بْنُ عُقْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُرَّةَ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو؛ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ» تَابَعَهُ شُعْبَةُ، عَنِ الأَعْمَشِ.

.....

"باب علامة النفاق" ذَكَرَ بعض العلماء أنّ هذا الباب مثل الباب الذي قَبْلَه، يعني أنّ النفاق منه ما هو مُخْرِج مِن المِلّة وهو النفاق الاعتقادي؛ ومنه ما هو غير مُخْرِج مِن المِلّة وهو ما يتعلق بالنفاق العملي المتعلق

---

(١) فاطر: ٣٢.
(٢) لقمان: ١٣.
(٣) الشورى: ٤٤.
(٤) الأنعام: ٨٢.

بمثل هذه العلامات التي ذكرها النَّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم في الحديث، والدليل عليه أنه قال في الحديث الثاني: "ومَن كانت فيه خصلة منهنَّ كانت فيه خصلة مِن النفاق" ولم يقل عليه الصّلاة والسّلام: "كان منافقًا" ثم لمّا ذَكَرَ مجموعها قال: "أربع مَن كنَّ فيه كان منافقًا خالصًا" وطبعًا للعلماء في تفسير هذه الجملة كلام ليس هو الشاهد عندنا، لكنّ الشاهد هنا أنّ الإنسان قد تكون فيه علامة مِن علامات النفاق ويَثبتُ له مع ذلك الإيمانُ، لأنّ النفاق منه ما هو مُخْرِج مِن المِلّة ومنه ما هو غير مُخْرِج مِن المِلّة، فالنفاق الاعتقادي وهو الإيمان في الظاهر والكفر في الباطن هذا مُخْرِج مِن المِلّة، لكن مَن وقع بشيء مِن النفاق العملي مِن مثل هذه الآيات التي ذَكَرَها المصنف والعلامات التي ذكرها عن المنافق هذه تجتمع مع الإيمان، وذَكَرَ بعض العلماء أنه يُستدل بهذه الأشياء على أنّ النفاق علامةٌ على عدم الإيمان وليس جزمًا بعدم الإيمان، والله أعلم.

والحديث هذا الذي ذكره المؤلف قال: حدثنا سليمان أبو الربيع وهو الزهراني العتكي خَرَّجَ له البخاري ومسلم، ومسلمٌ أكثرَ عنه في صحيحه، قال: حدثنا إسماعيل بن جعفر وهو ابن أبي كثير الأنصاري، خَرَّجَ له أصحاب الكتب السِّتَّة، قال: حدثنا نافع بن مالك بن أبي عامر أبو سهيل، وهذا عمّ الإمام مالك رحمه الله، مُخَرَّج له في الصحيحين والسُّنَن، عن أبيه وهو مالك بن أبي عامر، عن أبي هريرة.

ثم ذَكَرَ الحديث الثاني: حدثنا قبيصة بن عقبة وهو السوائي الكوفي، ويعد مِن كبار شيوخ الإمام البخاريّ رحمه الله، قال: حدثنا سفيان وهو الثوري، عن الأعمش عن عبد الله بن مُرّة الهمداني الكوفي، خَرَّجَ له الشيخان وأصحاب السُّنَن، وكذلك مسروق بن الأجدع، عن عبد الله بن عمرو وذَكَرَ هذه الخلال، الحديث خَرَّجَه مسلم في صحيحه، وقوله: تابعه شعبة عن الأعمش يعني تابع سفيانَ الثوري شعبةُ بن الحجاج، وهذه المتابعة خَرَّجَها المؤلف رحمه الله في كتاب المظالم في صحيحه.

بَابٌ: قِيَامُ لَيْلَةِ القَدْرِ مِنَ الإِيمَانِ

- حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنِ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يَقُمْ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».

.....

"بابٌ: قيام ليلة القدر مِن الإيمان" تقدم ظاهرها في بعض الأعمال لكن هنا لاحظنا الحديث قال: "مَن يقم ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا" لم يقل: ليلة القدر مِن الإيمان! بعض العلماء رحمهم الله ذَكَرَ أنّ المؤلف لَمّا بَيَّنَ علامات النفاق رجع بعد ذلك لذكر علامات الإيمان، المؤلف قال: "بابٌ قيام ليلة القدر مِن الإيمان" هنا قال: "مَن يقم ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا" ولم يقل: قيام ليلة القدر مِن الإيمان! فيبدو أنّه لَمّا قال: "قيام ليلة القدر مِن الإيمان" إذا نظرنا إليها مع قوله "إيمانًا" عُلِمَ منه أنّ المؤلفَ رحمه الله قد يريد أنّ العمل الظاهر لا ينفع صاحبه ما لم يقترن بالإيمان، فإذا اقترن به الإيمان دَلَّ على أنه مِن الإيمان؛ فإذا تجرد مِن الإيمان صار هذا العمل إما كفرًا وإما نفاقًا، العمل إذا تجرد عن الإيمان فإنه لا يكون به الإنسان مؤمنًا، فلعل هذا هو المراد.

وقوله: حدثنا أبو اليمان هو الحكم بن نافع، وبقية الإسناد تقدموا، والشاهد مِن التبويب أنّ المؤلف رحمه الله يريد أنّ الأعمال مِن الإيمان؛ لأنّ قيام ليلة القدر مِن الأعمال، وقد يكون يريد به الجمع بين القيام والإيمان، الإيمان الباطن يريد به أعمال القلوب ويريد به العمل عمل الجوارح، فقد يكون هذا تبويبًا مِن المؤلف لبيان أنّ العمل فيه عمل الجوارح وفيه عمل الباطن.

بَابٌ: الجِهَادُ مِنَ الإِيمَانِ

- حَدَّثَنَا حَرَمِيُّ بْنُ حَفْصٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الوَاحِدِ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُمَارَةُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ بْنُ عَمْرِو بْنِ جَرِيرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «انْتَدَبَ اللهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ، لاَ يُخْرِجُهُ إِلَّا إِيمَانٌ بِي وَتَصْدِيقٌ بِرُسُلِي، أَنْ أَرْجِعَهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ، أَوْ أُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، وَلَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي مَا قَعَدْتُ خَلْفَ سَرِيَّةٍ، وَلَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ».

.....

قوله: "أَرْجِعَهُ" هنا تُفتح الهمزة فيها لأنها مأخوذة مِن "رَجَعَ" المتعد، هنا "بابٌ الجهاد مِن الإيمان" وهذا سبيلُه سبيلُ ما تقدم مِن الأبواب.

وقوله: حدثنا حرمي بن حفص وهو ابن عمر العتكي تقدم، قال: حدثنا عبد الواحد وهو ابن زياد البصري وحديثه مُخَرَّج عند الشيخين، قال: حدثنا عُمارة وهو ابن القعقاع الكوفي وحديثه مُخَرَّج في الكتب

السِّتَّة، قال: حدثنا أبو زرعة ابن عمرو بن جرير البجلي وحديثه مُخَرَّج في الكتب السِّتَّة، وهذا الباب واضح، والحديث خَرَّجَه مسلم في صحيحه أيضًا.

بَابٌ: تَطَوُّعُ قِيَامِ رَمَضَانَ مِنَ الإِيمَانِ

- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».

.....

وهذا الحديث خَرَّجَه الإمام مسلم أيضًا في صحيحه وقد تقدم، وهو ظاهر الدلالة.

بَابٌ: صَوْمُ رَمَضَانَ احْتِسَابًا مِنَ الإِيمَانِ

- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلاَمٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».

.....

وهذا الباب أيضًا مثل الأبواب السابقة، وابن سَلَام هنا محمد بن سلام البيكندي، ومحمد هو محمد بن فضيل بن غزوان الضبي، ويحيى بن سعيد وهو يحيى بن سعيد الأنصاري، وأبو سلمة هو أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف.

بَابٌ: الدِّينُ يُسْرٌ

وَقَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللَّهِ الحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ».

- حَدَّثَنَا عَبْدُ السَّلاَمِ بْنُ مُطَهَّرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ عَلِيٍّ، عَنْ مَعْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الغِفَارِيِّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ المَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ».

.....

"بابٌ الدين يسرٌ" وقول النَّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم: "أحبُّ الدين إلى الله الحنيفية السمحة" قوله "أحبُّ الدين إلى الله الحنيفية السمحة" هذا علّقه الإمام البخاريّ هنا ووصله الإمام أحمد في مسنده والبخاريّ في كتابه الأدب المفرد مِن حديث ابن عباس رضي الله عنه وقد ذَكَرَ الحافظ في التغليق شواهده وحسنه في الفتح، وأما قوله "باب الدين يسر" فإنّ الحديث الذي ذكره وساق بإسناده هو حديث أبي هريرة فيه هذا المعنى، وقوله "أحبُّ الدين إلى الله الحنيفية السمحة" الحنيفية هي ملة إبراهيم عليه الصّلاة والسّلام، والمقصود بالحنيف هو المائل إلى الإسلام التارك للكفر، والسمحة يعني في تشريعاتها أي أنها سهلة في التشريعات، وقد نظر العلماء في هذا الحديث فمنهم مَن قال: أحبُّ الدين يعني أحبُّ الأديان، الحنيفية السمحة بمعنى أنّ أفضل الأديان وأكملها هي الحنفية السمحة والتي كان عليها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم والتي أثبتها الله عزّ وجلّ لنبيّه صلّى الله عليه وسلّم، ومنهم مَن ذَكَرَ أنّ المراد بأحبّ الدين إلى الله الحنفية السمحة هذا عائدٌ إلى خصال الدين، فما كان منه سهل ميسور فهو أحبُّ إلى الله مِن غيره، وهذا فيه ترغيب في أخذ النفس بالرفق وعدم الشدة عليها، وعلى كلٍّ - سواء قلنا هذا أو هذا - فإنّ الحديث شاهد على أنّ الإنسان لا ينبغي له أنْ يأخذ نفسه بالشدة حتى ينقطع عن العبادة! ولهذا النكتة التي أورد مِن أجلها المؤلفُ هذه الترجمة بعد أبوابٍ كثيرة لأنَّه لمّا ذَكَرَ أنواعًا مِن العبادات مِن الصيام والقيام والجهاد وغيرها جاء بهذا الباب لبيان أنَّ المسلم - وإنْ كان يحرص على الأعمال التي فيها إيمانه وحياته - إلّا أنَّه لا ينبغي له أنْ يُشدد على نفسه وأنْ لا يَرفُق بها حتى لا تنقطع عن العبادة! لأنَّه كما ذَكَرَ العلماء رحمهم الله إنَّ الإنسان إذا شدد على نفسه ربما كره العبادةَ واستثقلها بعد ذلك؛ فانقطع عن عبادة ربه عزّ وجلّ، وربما قام بهذه العبادات على وجه كاره فلم يطمئن إليها ولم يستلذ بها؛ فيأخذ الإنسانُ نفسَه بالرفق، ثم ساق الحديث.

قال: حدثنا عبد السلام بن مُطَهَّر - بفتح الهاء - وهو الأزدي البصري، قال: حدثنا عمرو بن علي وهو عمر بن علي بن عطاء المقدمي(١)، قال: عن معن بن محمد وهو معن بن محمد الغِفاري، خَرَّجَ لـه البخـاريّ ومسلم، عن سعيد بن أبي سعيد وهو المَقْبُري، حديثه في الصحيحين والسُّنَن الأربعة، قال: "إنَّ الدين يسرٌ" وهذا الذي صَدَّرَ به المؤلف ترجمةَ الباب، "ولن يُشادَّ الدينَ أحدٌ إلّا غلبه" فهذان أمران، وهمـا خـبران مِـن النَّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم، الأمر الأول: "إنَّ الدين يسر" هذا خبر، والثـاني: "ولـن يُشـادَّ الـدينَ أحـدٌ إلّا غلبه" والمقصود بذلك أنَّ الإنسان لا يتعمق بهذه العبادات ولا يشدد على نفسه فيها بل يأخذ فيهـا بـرخص الله تعالى حتى لا ينقطع عن عبادة ربه، لأنَّه إذا شادَّ الدين - والمشادة هنـا معناهـا المغالبـة - فـلا شـكّ أنَّـه سينقطع، لأنَّ شرائع الإسلام كثيرة، وحمْل النفس على جميعها دون أنْ يتخلف عن شيءٍ منها! هذا ممـا يشـق على الإنسان، وإذا فعل ذلك فإنَّه يغلبه الدين، على معنى أنَّه ينقطع عن العبادة ويتركها، ثم بَيَّنَ النَّبـيُّ صـلّى الله عليه وسلّم ما ينبغي أنْ يكون عليه حال المؤمن فقال: "فسددوا وقاربوا وأبشروا"، فأمرَ النَّبيُّ صـلّى الله عليه وسلّم بلزوم السداد وهو التوسط من غير إفراطٍ ولا تفريط، وقاربوا: يعني لأنَّ مقاربة العمـل أحيانًـا التسديد أحيانًا يصيب الإنسان منه الغرض المقصود، والمقاربة أحيانًا بمعنى أنَّه يكون مقاربًا للغرض الـذي يقصده وليس بالضرورة أنْ يصيبه، يعني أنّ العمل ليس بالضرورة أنْ تأتي به كاملًا! قد تأتي به كـاملًا وقـد تأتي به صحيحًا وليس بكامل، والمطلوب مِن المسلم هو التوسط والاعتدال، ثم ذَكَـرَ النَّبـيُّ صـلّى الله عليـه وسلّم ما يُستعان به فقال: "واستعينوا بالغدوة والروحة وشيءٍ مِن الدُّلجة" الغدوة هي الذهاب أول النهار، والروحة هي آخر النهار، وشيء مِن الدلجة وهو الليل، يعني بمعنى أنَّ الإنسان لا تأخذ عليـه العبـادةُ ليلَـه ونهارَه! بل يكون عبادة ويكون شيء مما يروح به عن نفسه ويقضي به متاعَه في الدنيا.

بَابٌ: الصَّلاَةُ مِنَ الإِيمَانِ

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾(٢) يَعْنِي صَلاَتَكُمْ عِنْدَ البَيْتِ.

---

(١) هنا يرن جوال أحد الطلاب وفي النغمة أنشودة "إلا صلاتي" فيقول الشيخ للطالب: هذه أغاني يا شيخ! أقفلها.

(٢) البقرة: ١٤٣.

- حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ خَالِدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ، عَنِ الـبَرَاءِ بْـنِ عَـازِبٍ؛ أَنَّ النَّبِـيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ أَوَّلَ مَا قَدِمَ المَدِينَةَ نَزَلَ عَلَى أَجْدَادِهِ، أَوْ قَالَ أَخْوَالِهِ مِنَ الأَنْصَارِ، وَأَنَّـهُ «صَـلَّى قِبَـلَ بَيْتِ المَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَكَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ البَيْتِ، وَأَنَّـهُ صَـلَّى أَوَّلَ صَلاَةٍ صَلَّاهَا صَلاَةَ العَصْرِ، وَصَلَّى مَعَهُ قَوْمٌ» فَخَرَجَ رَجُلٌ مِمَّـنْ صَـلَّى مَعَـهُ، فَمَـرَّ عَـلَى أَهْـلِ مَسْـجِدٍ وَهُـمْ رَاكِعُونَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ بِاللهِ لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِبَلَ مَكَّـةَ، فَـدَارُوا كَـمَا هُـمْ قِبَـلَ البَيْتِ، وَكَانَتِ اليَهُودُ قَدْ أَعْجَبَهُمْ إِذْ كَانَ يُصَلِّي قِبَلَ بَيْتِ المَقْدِسِ، وَأَهْلُ الكِتَابِ، فَلَمَّا وَلَّى وَجْهَهُ قِبَلَ البَيْتِ، أَنْكَرُوا ذَلِكَ. قَالَ زُهَيْرٌ: حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ، عَنِ البَرَاءِ فِي حَدِيثِهِ هَذَا: أَنَّهُ مَاتَ عَلَى القِبْلَةِ قَبْلَ أَنْ تُحَوَّلَ رِجَالٌ وَقُتِلُوا، فَلَمْ نَدْرِ مَا نَقُولُ فِيهِمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾(١).

.....

"بابٌ: الصلاة مِـن الإيـمان" أو بـابُ الصـلاة مِـن الإيـمان وقـولُ الله تعـالى: ﴿وَمَـا كَـانَ اللهُ لِيُضِـيعَ إِيمَانَكُمْ﴾(٢) " يعني صلاتكم عند البيت، هذه اللفظة "عند البيت" بعضهم يرى أنَّها محرفة وأنَّها: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ﴾ يعني صلاتكم لغير البيت، لماذا؟ لأنهَّم أولًا كانوا يصلون إلى بيت المقدس ثـم نسـخ اللهُ تعـالى القبلة فصاروا يصلون إلى الكعبة: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَـاهَا فَـوَلِّ وَجْهَـكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾(٣)، وبعضهم قال: إنَّ المراد "عند البيت" أي بيت المقدس، هذا طبعًا لـيس بصـواب لأنَّه إذا أُطلق البيت فالمراد به الكعبة، والصحيح أنَّ هذه اللفظة ليس فيهـا تحريـف وأنَّ المـراد عنـد البيـت الكعبة كما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّهم كانوا إذا أرادوا أنْ يصلوا جـاءوا إلى البيـت - الكعبـة - وجعلوا الكعبة بينهم وبين بيت المقدس وصلوا عنـد الكعبـة وجعلوهـا بيـنهم وبـين بيـت المقـدس الـذي يستقبلونه؛ فتكون الكعبة كالسترة لهم، فهذا هو مراد الإمام البخاريّ رحمه الله، والشاهد منه "باب الصـلاة مِن الإيمان الله جلّ وعلا قال: ﴿وَمَا كَـانَ اللهُ لِيُضِـيعَ إِيمَانَكُـمْ﴾(٤) " أي مـا كـان ليُضـيع صـلاتكم التـي

(١) البقرة: ١٤٣.
(٢) البقرة: ١٤٣.
(٣) البقرة: ١٤٤.
(٤) البقرة: ١٤٣.

صليتموها قبل تحويل القبلة إلى الكعبة، فسمى اللهُ تعالى الصلاةَ إيمانًا؛ فدَلَّ ذلك على أنَّ الأعمال مِن الإيمان لأنَّ الصلاة عملٌ.

وقوله في الحديث: حدثنا عمرو بن خالد وهو أبو الحسن الحرّاني خَرَّجَ له البخاريّ دون مسلم، قال: حدثنا زهير وهو ابن معاوية، وحديثه مُخَرَّج في السُّنَن والصحيحين، قال: حدثنا أبو إسحاق وهو عمر بن عبد الله السَّبيعي وحديثه مُخَرَّج في الكتب السِّتَّة، عن البراء بن عازب، وذكر هذا الحديث، وهذا الحديث أيضًا خَرَّجَه الإمام مسلم في صحيحه.

وهذا الحديث ذكره المؤلف رحمه الله لأنَّه كالمُبَيِّن للآية، يُبيّن أنَّ الصلاة أطلق اللهُ تعالى عليها الإيمانَ يستظهر بهذه القصة في بيان هذه الآية على مراده مِن تفسيرها.

قال: زهير، زهير عندنا في الإسناد شيخُ شيخِ البخاري، البخاريّ روى عنه عن عمرو بن خالد، فبعض أهل العلم قال: هذا مِن معلقات البخاريّ إلّا أنَّ الحافظ ابن حجر أنكر هذا وذكر أنَّ مَن قال بهذا فقد وهم، وذكر أنَّ عادة البخاريّ رحمه الله أنَّه يحذف أداة العطف، وهنا حذف أداة العطف، فقال زهير: حدثنا أبو اسحاق عن البراء إلى آخره هو موصولٌ مِن رواية عمرو بن خالد، ومع ذلك فالبخاريّ رحمه الله قد خَرَّجَ هذا الحديث موصولًا مِن وجهٍ آخر مِن روايته عن أبي نُعيم الفضل بن دكين عن زهير، وذلك في كتاب التفسير مِن صحيحه.

بَابُ حُسْنِ إِسْلاَمِ المَرْءِ

- قَالَ مَالِكٌ: أَخْبَرَنِي زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ؛ أَنَّ عَطَاءَ بْنَ يَسَارٍ، أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِذَا أَسْلَمَ العَبْدُ فَحَسُنَ إِسْلاَمُهُ؛ يُكَفِّرُ اللهُ عَنْهُ كُلَّ سَيِّئَةٍ كَانَ زَلَفَهَا، وَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ القِصَاصُ: الحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ، وَالسَّيِّئَةُ بِمِثْلِهَا إِلَّا أَنْ يَتَجَاوَزَ اللهُ عَنْهَا».

- حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا أَحْسَنَ أَحَدُكُمْ إِسْلاَمَهُ: فَكُلُّ حَسَنَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ، وَكُلُّ سَيِّئَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ لَهُ بِمِثْلِهَا».

.....

قوله: "بابُ حسن إسلام المرء" حُسنُ إسلام المرء فُسر بأنَّ المراد به كمال المراقبة والإخلاص لله تعالى على ما في حديث جبريل في بيانه لمعنى الإحسان "أنْ تعبد الله كأنك تراه؛ فإنْ لم تكن تراه فإنَّه يراك" ومنهم مَن ذَكَرَ أنَّ المراد بحسن الإسلام تحقيقُه على معنى الإتيان به بالظاهر والباطن، لا يكون إسلامًا ظاهرًا! بل يكون مسلمًا في الظاهر والباطن، ومنهم مَن رأى أنَّ المراد به كمال الامتثال بفعل المأمورات وترك المنهيات، هذه تفسيراتهم لحسن الإسلام، وقول المؤلف "باب حُسنُ إسلام المرء" لم يذكِرِ البخاريّ إلّا هذه الجملة؛ فما مراده بذلك مع الأحاديث التي ذكرها؟ قال بعض أهل العلم: إنَّه أراد بذلك الردَّ على الخوارج والمعتزلة وأيضًا الردَّ على المرجئة، الرَّدُّ على الخوارج مِن جهة أنَّ الإيمان يزيد وينقص، لأنَّه فيه لمَّا ذَكَرَ "إذا أسلم العبد فحسن إسلامه" دَلَّ ذلك على أنَّه كان قبل ذلك أقلَّ حُسنًا؛ فدَلَّ ذلك على تفاوت الإسلام في قلوب الناس، إذن فالإيمان يزيد وينقص، وأيضًا لمَّا ذَكَرَ فيه الحسنات والسيئات وذَكَرَ القِصاص على أنَّ المكلف إذا عمل يُعطى أجرَ عمله مِن الحسنات والسيئات وذَكَرَ أنَّه يفعل السيئات ويفعل الحسنات ولو كانت السيئات تُحْبِطُ الحسناتِ مطلقًا وتكون منافيةً لأصل الإيمان؛ فإنَّه إذا فعل السيئةَ لم تنفعه حسنةٌ، ومِن المعلوم أنَّه لا يحبط الحسنات كلها إلّا الكفر: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾(١) و﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾(٢) إذن إذا كان المؤمن يجمع بين الحسنات والسيئات دَلَّ ذلك على بقاء إيمانِه، دَلَّ ذلك على تفاوت الناس بالنسبة إلى الأعمال، لأنّ السيئات هي حصائدُ المعاصي، والحسنات حصائدُ الطاعات، فدلَّ ذلك على أنّ الناس مختلفون، إذن الإيمان يزيد وينقص، وأيضًا المؤمن - وإنْ عمل السيئات - فإنه لا يزال باقيًا على إيمانه، فأثبتَ له الإسلامَ بل أثبتَ له حسنَ الإسلامِ وأثبت مع ذلك أنَّه يفعل السيئات، فلا مانع مِن اجتماع

(١) الزمر: ٦٥.
(٢) المائدة: ٥.

الإيمان مع عمل السيئات، إذن هذا فيه رَدٌّ على الخوارج والمعتزلة والمرجئة في مسألة زيادة الإيمان ونقصانه وفي مسألة ثبوت الإسلام مع فعلِ الذنب، وأيضًا رَدٌّ على المرجئة مِن جهة أخرى وهي أنّ الذنوب مؤثرة، ليس كما يقولون: إنه لا يضرّ مع الإيمان معصية! والعجب في المرجئة يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: إنَّ المرجئة يقولون: إنَّ الذي يقرّ بالإيمان - وإنْ لم يعمل - هو مؤمن كامل الإيمان ويدخل النار! يقول: بعض الناس يُنسب إليهم أنهم لا يدخلون النار يقول: لا؛ يدخل النار، يقول: ليس في أحد مِن الفِرَق يقول: إنَّ صاحب المعصية لا يدخل النار! يقولون: يدخل النار، لكن بَيّنا فيما سبق أنّ دخول النار عند أهل السُّنَّة غير دخول النار عند أهل الإرجاء، هذا تقدم الكلام عليه، لكن هنا جمع اللهُ للمؤمن بين الحسنات والسيئات؛ فلم يُكَفّره كما تقول الخوارج! ولو كانت السيئات تُكَفِّر لحبط عمله وكان مِن الكافرين ولم يصح أنْ يقول حَسُنَ إسلامه! وأيضًا لمّا ذَكَرَ أنّ إسلامه حَسُنَ دَلَّ ذلك على أنّ إسلامه كان قبل ذلك ناقصًا وهو باقٍ على إسلامه؛ فدَلَّ ذلك على أنّ الإيمان يزيد وينقص.

الحديث الأول: قال: مالك وهذا مِن معلقات البخاريّ التي لم يصلها بموضع آخر مِن كتابه، ولعله علّقه عن مالك لأنّ الإمام البخاريّ رحمه الله روى الموطأ عن عبد الله بن يوسف التنيسي وروى أيضًا عن جملة ممن روى عن الإمام البخاريّ مثل عبد الله بن مَسْلَمة ومثل قتيبة بن سعيد وغيره روى عنهم البخاريّ في صحيحه، وهذا الحديث قد وصله النسائي والإسماعيلي وغيره عن الإمام مالك رحمه الله.

وقوله في الحديث الثاني الآخر: حدثنا إسحاق بن منصور وهو أبو يعقوب المعروف بالكوسج، خَرَّجَ له البخاريّ ومسلم، وعبد الرزاق هو ابن همام الصنعاني صاحب المصنف، ومعمر هو ابن راشد، وهمام هو ابن مُنَبِّه الصنعاني الأبناوي.

بَابٌ: أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَدْوَمُهُ

- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ هِشَامٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي، عَنْ عَائِشَةَ؛ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا امْرَأَةٌ، قَالَ: «مَنْ هَذِهِ؟» قَالَتْ: فُلاَنَةُ، تَذْكُرُ مِنْ صَلاَتِهَا، قَالَ: «مَهْ، عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ، فَوَاللهِ لاَ يَمَلُّ اللهُ حَتَّى تَمَلُّوا» وَكَانَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ.

.....

"باب أحبُّ الدين إلى الله أدومه" وهذا قد يكون كما مرّ معنا في الباب السابق "باب الدين يسر" يعني أنّ العبد – وإنْ كان مطلوب منه أنْ يعمل الطاعات والقربات – إلّا أنه ينبغي له أنْ يداوم على العمل – وإنْ قلَّ هذا العمل – فلا ينقطع عن العمل بعد فعله، وإذا ربطتَ بين هذين البابين عرفتَ أنّ العبادة إذا تقرب بها العبد إلى ربه وحمل نفسَه عليها بما يشق عليها فإنه قد ينقطع عنها؛ فلا يتحقق فيه هذا الحديث "أحبُّ العمل إلى الله أدومه" لأنه ينقطع عن العبادة، لكن إذا عمل العبادة بسداد واقتصاد فإنه يكون ذلك أدعى للمداومة عليها وهذا هو أحبُّ الدين إلى الله جلّ وعلا، فأحبُّ الدين إلى الله عزّ وجلّ مِن جهة صفته اليسر، وأحبُّ الدين إلى الله عزّ وجلّ مِن جهة فعله ما داوم عليه صاحبه وإنْ كان هذا العمل قليلًا، لماذا؟ لأنّ العلماء يقولون: إنَّ الإنسان إذا عمل عملًا قليلًا فإنه يكون دائم الاتصال بربه، أما إذا حمل نفسه على ما يشقّ عليها فقد يعمل ثم ينقطع؛ فينقطع الاتصال بربه جل وعلا!

وذَكَرَ بعض العلماء على هذا الباب أنّ الحديث الذي ذكره المؤلف فيه أطلق فيه الدين – وهو الإيمان – على الأعمال، لأنّ الإسلام والإيمان يُقال لهما: الدين، ولمّا قال النَّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم في هذا الحديث "أحبُّ الدين إلى الله ما داوم عليه صاحبه" أي واظب عليه وهو العمل، وأطلق العمل على أنّه دين، كأنّه قال: الإيمان العمل، كما مَرّ في باب "مَن قال: إنّ الايمان هو العمل".

وقوله: حدثنا محمد بن المثنى هو أبو موسى المعروف بالزَّمن، حدثنا يحيى بن سعيد هو ابن سعيد القطان، وهشام بن عروة وأبوه عروة، والحديث خَرَّجَه مسلم وفي الصحيح.

بَابُ زِيَادَةِ الإِيمَانِ وَنُقْصَانِهِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾(١)، ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾(٢)، وَقَالَ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾(٣) فَإِذَا تَرَكَ شَيْئًا مِنَ الكَمَالِ فَهُوَ نَاقِصٌ.

---

(١) الكهف: ١٣.
(٢) المدثر: ٣١.
(٣) المائدة: ٣.

- حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ» قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: قَالَ أَبَانُ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، حَدَّثَنَا أَنَسٌ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مِنْ إِيمَانٍ» مَكَانَ «مِنْ خَيْرٍ».

- حَدَّثَنَا الحَسَنُ بْنُ الصَّبَّاحِ، سَمِعَ جَعْفَرَ بْنَ عَوْنٍ، حَدَّثَنَا أَبُو العُمَيْسِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا قَيْسُ بْنُ مُسْلِمٍ، عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ؛ أَنَّ رَجُلًا مِنَ اليَهُودِ قَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ؛ آيَةٌ فِي كِتَابِكُمْ تَقْرَءُونَهَا لَوْ عَلَيْنَا مَعْشَرَ اليَهُودِ نَزَلَتْ لاَتَّخَذْنَا ذَلِكَ اليَوْمَ عِيدًا. قَالَ: أَيُّ آيَةٍ؟ قَالَ: ﴿اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾(١) قَالَ عُمَرُ: «قَدْ عَرَفْنَا ذَلِكَ اليَوْمَ وَالمَكَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ قَائِمٌ بِعَرَفَةَ يَوْمَ جُمُعَةٍ».

.....

قال: "بابُ زيادة الإيمان ونقصانه" وزيادة الإيمان ونقصانه كما تكون في القلب كذلك تكون في الأعمال، وهذا هو الذي عليه أهل السُّنَّة والجماعة، قال: "وقول الله تعالى: ﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾(٢) " وهذا جاء في قصة أهل الكهف، فهم ﴿آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾(٣) ، فأثبت جلّ وعلا الزيادة، والهدى عادة ما يكون ابتداؤه في القلب، قال: ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ هذا أيضًا زيادة ولم تُقيّد بعمل فدَلَّ ذلك على أنّ الإيمان يزيد – سواء كان في القلب أو في العمل –، ثم ذَكَرَ قول الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾(٤) وهذه الآية – وهي قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ – استدل بها على زيادة الإيمان ونقصانه سفيانُ بن عيينة وأبو عُبيد القاسم بن سَلّام ومحمد بن نصر المروزي والإمام النسائي رحمه الله بوّب في سننه " باب زيادة الإيمان" وذكر في حديث عمر رضي الله عنه المشتمل على هذه الآية، وكذلك ابن حبّان

(١) المائدة: ٣.
(٢) الكهف: ١٣.
(٣) الكهف: ١٣.
(٤) المائدة: ٣.

ترجم في صحيحه قال: "ذِكْرُ الخبر المدحض قولَ مَن زعم أنّ الإيمان لم يزل على حالة واحدة مِن غير أنْ يدخله نقصٌ أو كمالٌ"، الآن لو نظرنا إلى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ هذا الكمال هل هو متعلق بفعل المُكلّف أم هو متعلق بوضع الشارع؟ هو متعلق بوضع الشارع ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ المُكَمَّل هو الدين؛ فكيف يُستدَلّ به على زيادة الإيمان ونقصانه؟ ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[1] الإمام البخاريّ قال: "فإذا ترك شيئًا مِن الكمال فهو ناقص" وهذا وجه الاستدلال بالآية، وذلك أنّ الدين لمّا بعث الله به النَّبيَّ صلّى الله عليه وسلّم لم تكن شرائعُه أول الإسلام كشرائعه آخر الإسلام، فلم يزل الله عزّ وجلّ يشرع لنبيّه مِن الشرائع ما كَمّل به الدين الذي ارتضاه للناس، إذن لو نظرنا إليها نظرة نسبية فنقول مثلًا: الذين كانوا في مكة قبل الهجرة لم يكن عندهم مِن الشرائع ما كان بعد الهجرة، فإذا نظرت إلى التشريع الذي قبل الهجرة وبعده وجدت أنّ ما قبل الهجرة ناقص عن ما بعدها، وهذا مثل ما قال النَّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم في المرأة "ناقصات عقل ودين"[2]، الحيض هل هو باختيار المرأة؟ هو أمر جِبِلّيّ كتبه الله تعالى عليها، لكن قال العلماء: ناقصات دين بالنسبة إلى غيرها مِن النساء التي تصوم هذه الأيام، مع أنّ المرأة لا تُؤاخذ على تركها، بل تركها لله يُعدّ طاعة.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله وصلى الله وسلم على رسول الله

كنّا توقفنا عند قول الإمام البخاريّ "باب زيادة الإيمان ونقصانه" وتوقفنا عند قول الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾[3] قال البخاري: "فإذا ترك شيئًا مِن الكمال فهو ناقص" وجه ذلك – والله أعلم – أنّ البخاريّ رحمه الله نظر إلى الآية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[4] فالذي رضيه الله تعالى لعباده هو هذا الدين الكامل، إذن ترْكُ شيء مِن هذا الكمال يُعَدُّ نقصانًا، فالتكاليف الشرعية استقرت بعد كمال الدين في آخر حياته عليه الصّلاة والسّلام، فمَن ترك شيئًا منها فقد ترك شيئًا رضيه الله تعالى وهذا نقصان، وقد ذَكَرَ بعضُ أهل العلم أنّ الآية تدلُّ على أنّ

(١) المائدة: ٣.

(٢) صحيح البخاري (٣٠٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) المائدة: ٣.

(٤) المائدة: ٣.

الدين ذو أجزاء لأنّ كمال هذه الشريعة لم يأت في وقت واحد وإنّما كانت هذه الشرائع بكل زمان شرعة شرعها الله عزّ وجلّ فيه حتى اكتملت في آخر حياته صلّى الله عليه وسلّم، إذن هذا الكمال هو عبارة عن أجزاء تكاملت حتى وصلت إلى الحدّ أو الغاية التي أرادها الله عزّ وجلّ، إذن باستكمال هذه الأجزاء يكمل الإيمان، بعدم استكمالها لا يكمل الإيمان بل يفوت على المسلم بعضُ الإيمان، والله أعلم.

الحديث قال: حدثنا مسلم بن إبراهيم وهو الفراهيدي البصري، مُخَرَّجٌ له في الكتب السِّتَّة، قال: حدثنا هشام وهو ابن أبي عبد الله الدستوائي مُخَرَّجٌ له في الكتب السِّتَّة، قال: حدثنا قتادة عن أنس عن النَّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم قال: "يُخَرَّج مِن النار مَن قال: "لا إله إلّا الله" وفي قلبه وزن شعيرة مِن خير" ثم ذَكَرَ وزن برّة ثم ذَكَرَ وزن ذرّة، وهذه عبارة عن مقاييس ومكاييل، إذن هؤلاء الذين يَخرجون مِن النار – وهم مِن أهل لا إله إلّا الله – هم متفاوتون في الإيمان، بعضهم فوق بعض في الإيمان، وبعضهم دون بعض في الإيمان، إذن الإيمان فيه زيادة ونقصان حتى ما يكون منه في القلب، وهذا الحديث خَرَّجَه الإمامُ مسلمٌ في صحيحه.

قال أبو عبد الله: قال: أبان، وأبان هو ابن يزيد العطار، ومنهم مَن يصرفه ومنهم مَن لا يصرفه، وأكثر النحاة على صرفه، وأمّا ابن مالك فلا يرى صرفَ ذلك، إذن قال أبان: حدثنا قتادة، والبخاريّ لم يدرك أبان فهو مِن معلقات الإمام البخاريّ رحمه الله لكن لم يصلها في موضع آخر وإنّما وصلها البيهقي في "الاعتقاد" والحاكم وصلها في "الأربعين"، قال البخاري: حدثنا الحسن بن الصَّبَّاح وهو أبو علي البزار الواسطي خَرَّجَ له البخاريّ ولم يُخَرِّج له مسلم، قال: سمع جعفر بن عون، وجعفر هو جعفر بن عون بن جعفر بن عمر بن حريث، مُخَرَّجٌ له أيضًا في الكتب السِّتَّة، قال: حدثنا أبو العميس وهو عتبة بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، مُخَرَّجٌ له أيضًا في الكتب السِّتَّة، قال: أخبرنا قيس بن مسلم وهو قيس بن مسلم أبو عمر الجدلي الكوفي مُخَرَّجٌ له أيضًا في الكتب السِّتَّة، عن طارق بن شهاب، وطارق له رؤية للنَّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم واختلف الناسُ في صحبته، طارق بن شهاب البجلي خَرّجَ له البخاريّ ومسلم، وهذا الحديث الذي ساقه أيضًا خرّجه الإمام مسلم في صحيحه، وهذا الحديث جاء به الإمام البخاريّ مِن جهة ارتباطه بالآية التي ساقها وهي قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾.

بَابٌ: الزَّكَاةُ مِنَ الإِسْلاَمِ

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ القَيِّمَةِ﴾(١).

- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، عَنْ عَمِّهِ أَبِي سُهَيْلِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ؛ أَنَّهُ سَمِعَ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللهِ، يَقُولُ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ ثَائِرُ الرَّأْسِ، يُسْمَعُ دَوِيُّ صَوْتِهِ وَلاَ يُفْقَهُ مَا يَقُولُ، حَتَّى دَنَا، فَإِذَا هُوَ يَسْأَلُ عَنِ الإِسْلاَمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ». فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: «لاَ، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ». قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَصِيَامُ رَمَضَانَ». قَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُ؟ قَالَ: «لاَ، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ». قَالَ: وَذَكَرَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الزَّكَاةَ، قَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: «لاَ، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ». قَالَ: فَأَدْبَرَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَقُولُ: وَاللهِ لاَ أَزِيدُ عَلَى هَذَا وَلاَ أَنْقُصُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ».

.....

هذا الحديث خرّجه أيضًا الإمام مسلم في صحيحه، وإسناده مدني، وإسماعيل هو ابن أبي أويس وقد تقدّم، وقوله فيه عن عمه أبي سهل ابن مالك هو نافع بن مالك عن مالك أبيه، الباب هذا "باب الزكاة من الإسلام" وهو مثل الأبواب التي تقدمت، والآية التي ذكرها قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾(٢) هذه الآية استدل بها الإمام الشافعي وأحمد وغيرهم على أنّ الأعمال من الإيمان لأنّ الله تعالى قال: ﴿وَذَلِكَ دِينُ القَيِّمَةِ﴾، أي وذلك دين الملّة القيّمة، وهذه الملة أو الدين هذا الذي ذكره الله تعالى في قوله: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾(٣)، ولو نظرنا إلى هذه الآية ذكَرَ الله فيها: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ هذا التوحيد - شهادة أن لا إله إلّا الله - ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ الإخلاص عمل قلبي، ﴿وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾ فدلّ ذلك على أنّ الأعمال - سواء كانت أعمال القلوب أو كانت أعمال الجوارح - أنّها من الإيمان لأنّ الله

(١) البينة: ٥.
(٢) البينة: ٥.
(٣) الشورى: ١٣.

تعالى جعلها دينًا؛ وقلنا: والإسلام والإيمان دين، إذن فهذه الأعمال مِن الإيمان، والحديث الذي ذكره المؤلف لمّا ذَكَرَ فيه الأعمال ذَكَرَ فيه الصلاة؛ ذَكَرَ فيه الصيام؛ ذَكَرَ فيه الزكاة، وهو قال قبل ذلك: "وهو يسأله عن الإسلام" فهذه الأعمال جعلها النَّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم مِن الإسلام، والبخاريّ لا يُفرّقُ بين الإسلام والإيمان، إذن هذه الأعمال مِن الإيمان؛ فصَحَّ أنّ الزّكاةَ مِن الإسلام وصَحَّ أنّ الزّكاة مِن الإيمان.

بَابٌ: اتِّبَاعُ الجَنَائِزِ مِنَ الإِيمَانِ

- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَلِيٍّ المَنْجُوفِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا رَوْحٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَوْفٌ، عَنِ الحَسَنِ، وَمُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنِ اتَّبَعَ جَنَازَةَ مُسْلِمٍ - إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا - وَكَانَ مَعَهُ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا وَيَفْرُغَ مِنْ دَفْنِهَا، فَإِنَّهُ يَرْجِعُ مِنَ الأَجْرِ بِقِيرَاطَيْنِ، كُلُّ قِيرَاطٍ مِثْلُ أُحُدٍ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيْهَا ثُمَّ رَجَعَ قَبْلَ أَنْ تُدْفَنَ؛ فَإِنَّهُ يَرْجِعُ بِقِيرَاطٍ» تَابَعَهُ عُثْمَانُ المُؤَذِّنُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَوْفٌ، عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوَهُ.

.....

"بابٌ: اتّباعُ الجنائز مِن الإيمان" أو "بابُ اتّباعِ الجنائزِ مِن الإيمان" على القطع والإضافة، قال: حدثنا أحمد بن عبد الله بن علي المنجوفي وهو أبو بكر السدوسي خَرّجَ له البخاريّ ولم يُخرّج له مسلم، قال: حدثنا روح وهو روح بن عبادة البصري خَرَّجَ له أصحاب الكتب السِّتَّة، قال: حدثنا عوف وهو عوف بن أبي جميلة الأعرابي مُخَرَّجٌ له بالكتب السِّتَّة، عن الحسن وهو الحسن البصري، ومحمد وهو ابن سيرين، وهذه تسمى عند العلماء رواية المقرون إِذْ قَرَنَ روايةَ الحسن برواية محمد بن سيرين، والحسن ثقة وابن سيرين ثقة، لكنّ الحسن تكلم الجمهور في سماعه مِن أبي هريرة رضي الله عنه، الجمهور على أنّه لم يسمع منه؛ فلهذا الإمام البخاريّ قَرَنَه بمحمد بن سيرين فانتفت مسألة الانقطاع لأنّ هذا عاضدٌ له، ولو اكتفى بمحمد بن سيرين وحده لكان أيضًا صحيحًا لأنّ محمد بن سيرين إمام لا يُسأل عن مثله.

وهذا الحديث كما ترون قال: :باب اتّباعُ الجنائزِ مِن الإيمان" "مَن اتّبع أو تَبِع جنازة مسلم إيمانًا واحتسابًا" وهذا مثلُه مثلُ ما تقدّم في "باب مَن قام ليلة القَدْر إيمانًا واحتسابًا" التوجيه المذكور هناك

والتوجيه المذكور هاهنا، وقوله: تابعه أي تابع رَوْحًا على هذه الرواية، تابعه عثمان المؤذن وهو عثمان بن الهيثم العبدي أبو عمرو البصري المؤذن، وهو مِن شيوخ الإمام البخاريّ رحمه الله توفي قديمًا – توفي سَنَة مئتين وعشرين – وفاته كانت قديمة، وروى عنه الإمام البخاريّ بواسطة وبدون واسطة، ولعل الإمام رحمه الله البخاريّ روى عنه بواسطةٍ الأحاديثَ التي سمعها منه قبل أنْ يتغير، وأمّا بعد تغيّره فقد رواها عنه بواسطة أي بواسطة رواية مَن سمع منه قبل أنْ يتغير فيتلقن، لأنّه في آخر حياته تَغيّر فصار يتلقن بعد ذلك ويقبل التلقين، وهذه المتابعة المذكورة هنا وصلها أبو نُعيم في مُستخرجه على البخاريّ كما في التغليق، وقوله هنا: تابعه عثمان المؤذن قال: حدثنا عوف عن محمد عن أبي هريرة عن النَّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم قال: نحوه، لأنّ هناك نوع خلاف بين اللفظ في صدر الحديث.

بَابُ خَوْفِ المُؤْمِنِ مِنْ أَنْ يَحْبَطَ عَمَلُهُ وَهُوَ لاَ يَشْعُرُ

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ: "مَا عَرَضْتُ قَوْلِي عَلَى عَمَلِي إِلَّا خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ مُكَذِّبًا"، وَقَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ: "أَدْرَكْتُ ثَلاَثِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كُلُّهُمْ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ، مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ يَقُولُ: إِنَّهُ عَلَى إِيمَانِ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ"، وَيُذْكَرُ عَنِ الحَسَنِ: "مَا خَافَهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلاَ أَمِنَهُ إِلَّا مُنَافِقٌ" وَمَا يُحْذَرُ مِنَ الإِصْرَارِ عَلَى النِّفَاقِ وَالعِصْيَانِ مِنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ، لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾(١).

– حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَرْعَرَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ زُبَيْدٍ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا وَائِلٍ عَنْ المُرْجِئَةِ، فَقَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «سِبَابُ المُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ».

– أَخْبَرَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ، عَنْ حُمَيْدٍ عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ يُخْبِرُ بِلَيْلَةِ القَدْرِ، فَتَلاَحَى رَجُلاَنِ مِنَ المُسْلِمِينَ فَقَالَ: «إِنِّي خَرَجْتُ لِأُخْبِرَكُمْ بِلَيْلَةِ القَدْرِ، وَإِنَّهُ تَلاَحَى فُلاَنٌ وَفُلاَنٌ فَرُفِعَتْ، وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ، التَمِسُوهَا فِي السَّبْعِ وَالتِّسْعِ وَالخَمْسِ».

.....

(١) آل عمران: ١٣٥.

"باب خوفِ المؤمن مِن أنْ يحبط عملُه وهو لا يشعر" هذا الباب معقودٌ للردّ على المرجئة الذين يقولون: إنّ مَن آمِن أو صدّق أو أقرّ بلسانه؛ فإنّه لا يَخشى على نفسه الكفرَ بعد ذلك! بل هو مؤمن كامل الإيمان!! وأهل السُّنَّة والجماعة على خلاف ذلك يقولون: المؤمن قد يحبط عملُه وقد يكون من الكافرين! وقد يكون حبوط العمل على جهةِ غير الكفر بمعنى حبوط بعض السيئات دون بعض، وهذه وهذه واردة، يعني أنْ تحبط أعماله كلها بكفره أو أن يُحبط عمل له بعضَ حسناته، هذا وارد وهذا وارد، والمؤمن في باب الإيمان – وإنْ كان مؤمنًا مصدّقًا وعاملًا بما أمره الله تعالى به – إلّا أنّه يخاف أنْ يحبط عمله ولا يركن إلى إيمانه؛ فهو خائف أنْ يحبط اللهُ جلّ وعلا عملَه، وذَكَرَ على ذلك شواهد، وأوّلُها ما جاء عن إبراهيم التيمي وهو ابن يزيد بن شريك التيمي رحمه الله قال: "ما عرضتُ قولي على عملي إلّا خشيت أنْ أكون مُكَذِّبًا أو مُكَذَّبا" يعني أنّه كان يقول قولًا عظيمًا فلو عرض أعمالَه التي يعملها لخشي أنْ يكون كاذبًا فيما يقول، لأنّ عملَه دون قوله، أو خشي أنْ يُكذِّبه غيرُه لأنّهم يرون عملَه دون قولِه، وهذا الأثر خرّجه الإمام أحمد في الزهد والبخاريّ في التاريخ وغيرهما، وهو كما ترون شاهدٌ على أنّ إبراهيم التيمي رحمه الله – مع جلالته – إلّا أنّه كان يخاف على نفسه أنْ لا يوافق عملُه قولَه، وقال ابن أبي مُليكة وهو عبد الله بن عبيد الله القرشي التيمي أدرك عائشة أم المؤمنين وأم سلمة وأسماء وأبا هريرة العبادلة وغيرهم مِن الصحابة قال: "أدركتُ ثلاثين مِن أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كلهم يخاف النفاق على نفسهم، ما منهم أحدٌ يقول: إنّه على إيمان جبريل وميكائيل!" أخرجه ابن نصر، وقوله: "لا أحد يقول: إنّه على إيمان جبريل وميكائيل" يعني أنّه لا يطرأ على إيمانه النفاقُ! فهم مع إيمانهم كانوا يخشون النفاق على أنفسهم، وهذا خلاف المرجئة الذين يقولون: مَن آمن؛ فإنّه لا يخاف الكفر ولا يخاف النفاق! ولهذا هم يمنعون الاستثناء في الإيمان، يعني لا يقولون[1]: أنا مؤمن إنْ شاء الله، وهذا الأثر خرّجه ابن نصر وابن أبي خيثمة في تاريخه، ثم قال: "ويُذكر عن الحسن" وهو الحسن البصري رحمه الله، وهذا الأثر عن الحسن البصري أخرجه الفِريابي في صفة المنافق، وخَرَّجَه الفِريابي مِن وجوه كثيرة وألفاظ متعددة، ولذا عبّر البخاريُّ رحمه الله بصفة التمريض قال: ويُذكر، لأنّ البخاريّ إذا لم يسق اللفظ وإنّما أورده بمعناه فإنّه يقول أحيانًا: ويُذكر.

(١) أو كلمة نحوها.

قال: "ما خافه إلّا مؤمن وما أمنه إلّا منافق" يعني ما خاف النفاق إلّا مؤمن وما أمِن النفاق إلّا منافق، لماذا؟ لأنّ القلوب بين أصبعين مِن أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء.

قال: "وما يُحذرُ مِن الإصرار على النفاق وما يُحذَّر مِن الإصرار على النفاق" كلاهما جائز "وما يُحذَرُ مِن الإصرار على النفاق والعصيان مِن غير توبة لقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[1]، يعني أنّ المؤمن يَحذر مِن الإصرار على النفاق إذا طرأ عليه أو على التوبة، لأنّ الله تعالى لمّا ذَكَرَ أهلَ الجنة ذَكَرَ مِن صفتهم: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ فدلَّ ذلك على أنّ إصرارهم على ما يفعلون لا يدخلهم الجنة، فدلّ هذا على أنّ خوف الإنسان على نفسه ومبادرته إلى التوبة مما يقع فيه مِن العصيان والنفاق – وإنْ كان نفاقًا عمليًا – أنّ هذا مِن كمال إيمانه، ولعل المؤلف رحمه الله لمّا قال: "باب خوف المؤمن مِن أنْ يحبط عمله وهو لا يشعر" يشير إلى أنّه مِن كمال إيمان المؤمِن أنْ يحفظ عملَه وأنْ يخاف عليه مِن أنْ يُحبطه الله جل وعلا.

قال: حدثنا محمد بن عرعرة وهو القرشي السامي خرّج له البخاريّ ومسلم، قال: حدثنا شعبة، عن زبيد وهو ابن الحارث أبو عبد الرحمن خَرَّجَ له أصحاب الكتب السِّتَّة، قال: سألت أبا وائل وهو شقيق بن سلمة، وشقيق بن سلمة هذا توفي سَنَة تسعة وتسعين أو قَبْلَها، سألتُ أبا وائل عن المرجئة، وهذا يَدُلُّ على أنّ بدعة الإرجاء كانت قديمة لأنّ زبيدًا سأل أبا وائل وأبو وائل متقدّم الوفاة توفي سَنَة تسعة وتسعين ومنهم مَن قال: أنّه توفي تقريبًا في منتصف الثمانين أو نحوها، وهذا السؤال يكون قبل ذلك، إذن فهذه البدعة – بدعة المرجئة – كانت قديمة، فقال: حدثني عبد الله – يعني ابن مسعود – أنّ النَّبيَّ صلّى الله عليه وسلّم قال: "سباب المسلم فسوقٌ، وقتاله كفرٌ" وهذا رَدٌّ على المرجئة الذين يقولون: إنّ المؤمن إذا فعل الكبيرة فإنّه لا يفسق! وهنا ذَكَرَ النَّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم: "سباب المسلم فسوقٌ، وقتاله كفرٌ" فدَلَّ ذلك على أنّ المعصية تضرّ بالإيمان خلافًا لِمَا تقوله المرجئة مِن أنّ الإيمان لا تضرّ معه معصيةٌ!

وسفيان الثوري رحمة الله عليه ذَكَرَ الفروقات بين المرجئة وأهلَ السُّنَّة ذَكَرَ أنّ أهلَ السُّنَّة يقولون: الإيمان قول وعمل وهم يقولون: قول! وأهل السُّنَّة يقولون: يزيد وينقص وهم يقولون: لا يزيد ولا

(١) آل عمران: ١٣٥.

ينقص! قال: وأهل السُّنَّة يقولون: النفاق وهم لا يقولون النفاق! يعني يقولون: ما يجتمع معه نفاق! إذن فهذه فروقات بين أهل السُّنَّة والجماعة مع المرجئة توضّح لك الباب الذي ذكره الإمام البخاريّ رحمه الله تعالى هنا.

وقوله: "سأله عن المرجئة" إنما سُموا مرجئة لأنّهم أخّروا الأعمال عن مسمى الإيمان فقالوا: إنّ الأعمال غير داخلة في مسمى الإيمان – سواء كانت الأعمال أعمالًا قلبية وسواء كانت الأعمال أعمالَ جوارح –، وهذا عامة المرجئة، وإنْ كان بعض المرجئة قد أدخل عملَ القلب دون عمل الجوارح كما هو طريقة مرجئة الفقهاء، وأبو وائل رَدَّ على هذه الفِرية – فِرية المرجئة – بهذا الحديث الذي ذكره عن النَّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم؛ فأبطل مقولتَهم بكلام النَّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم، وهذا فيه أنّ الإنسان ينبغي له إذا عُرضت عليه مثل هذه الأشياء أنْ يَرُدّها بهدي النَّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم، لأنّ كل ما خالف هديَ النَّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم فهو باطل، فمَن لم يقبل الهدى الذي جاء به النَّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم فلا عليك أنْ يموت مؤمنًا أو كافرًا، وهذا الحديث خرّجه الإمام مسلم في صحيحه.

الحديث الآخر: قال: أخبرنا قتيبة بن سعيد وقد تقدّم، قال: حدثني إسماعيل بن جعفر وهو الأنصاري وسبق، عن حُميد وهو ابن أبي حميد المعروف بحميد الطويل لطول يديه لا لطوله! كان هو قصيرًا ولكن كانت يداه طويلتين، عن أنس رضي الله عنه، ذَكَرَ في هذا الحديث أنّه صلّى الله عليه وسلّم خَرَجَ يُخبِر بليلة القَدْر فتلاحى رجلان، يعني أنّ الرجلين اختصما وتسابّا، "فتلاحى رجلان مِن المسلمين" ذَكَرَ بعضُ العلماء أنّ التلاحيَ بينهما بحضرته عليه الصّلاة والسّلام يستلزم رفعَ الصوت في الخصومة وهذا مما يُحبط العملَ لقوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾(١)، هذا ذكره بعضُ العلماء على هذا الحديث، وبعضُ العلماء ذَكَرَ وجهًا آخر مِن إيراد المؤلف له وهو أنّ النَّبيَّ صلّى الله عليه وسلّم سماهما مسلمَين مع وقوعهما في السِّباب والخصومة؛ فدَلَّ ذلك على أنّ اسمَ الإسلام باقٍ وإنْ تسابّا وتخاصما وفعلا ما نهى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

(١) الحجرات: ٢.

بَابُ سُؤَالِ جِبْرِيلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عَنِ الإِيمَانِ، وَالإِسْلاَمِ، وَالإِحْسَانِ، وَعِلْمِ السَّاعَةِ، وَبَيَانِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ، ثُمَّ قَالَ: «جَاءَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ» فَجَعَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ دِينًا، وَمَا بَيَّنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِوَفْدِ عَبْدِ القَيْسِ مِنَ الإِيمَانِ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾(١).

- حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا أَبُو حَيَّانَ التَّيْمِيُّ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَارِزًا يَوْمًا لِلنَّاسِ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: مَا الإِيمَانُ؟ قَالَ: «الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ، وَبِلِقَائِهِ، وَبِرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ». قَالَ: مَا الإِسْلاَمُ؟ قَالَ: " الإِسْلاَمُ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ، وَلاَ تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ، وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ ". قَالَ: مَا الإِحْسَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، قَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: " مَا المَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وَسَأُخْبِرُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا: إِذَا وَلَدَتِ الأَمَةُ رَبَّهَا، وَإِذَا تَطَاوَلَ رُعَاةُ الإِبِلِ البُهْمُ فِي البُنْيَانِ، فِي خَمْسٍ لاَ يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ " ثُمَّ تَلاَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾(٢) الآيَةَ، ثُمَّ أَدْبَرَ فَقَالَ: «رُدُّوهُ» فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا، فَقَالَ: «هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ يُعَلِّمُ النَّاسَ دِينَهُمْ» قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: جَعَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ مِنَ الإِيمَانِ.

.....

هذا الباب ذَكَرَ العلماءُ أنّ البخاريّ عقده لبيان أنّ الإيمان والإسلام شيءٌ واحد، ذَكَرَ فيه حديثَ جبريل في الأول وهو الحديث الطويل المشهور وقد ساقه المؤلف مِن رواية أبي هريرة رضي الله تعالى عنه وجاء أيضًا في صحيح مسلم مِن حديث عمر، قال: "وما بَيّنَ النَّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم لوفد عبد القيس" حديث وفد عبد القيس سيذكره المؤلف في باب أداء الخُمس مِن الإيمان، وحديث وفد عبد القيس "أنّ النَّبيَّ صلّى الله عليه وسلّم قال لهم: أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: شهادة أنْ لا إله إلّا الله؛

---

(١) آل عمران: ٨٥.

(٢) لقمان: ٣٤.

وأنّ محمدًا رسول الله، وايتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأنْ تُعطوا الخُمس مِن المغنم" إذن ففسره النَّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم فسّر الإيمان لوفد عبد القيس بالأعمال الظاهرة، وفسّره في حديث جبريل عليه السلام بأنّ الإيمان "أنْ تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن بالبعث" وهذا مِن إيمان الباطن، قال البخاريّ بعد ذلك: "جعل ذلك كلَّه مِن الإيمان" يعني جعل الأعمال الظاهرة مِن الإيمان وجعل الأعمال الباطنة مِن الإيمان، فدلّ ذلك على أنّ الإيمان والإسلام شيء واحد، وكان قد استدل بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[1] ومِن المعلوم أنّه ليس المراد به هنا مجردُ الإسلام! وإنّما يراد به الإسلام المجتمع إلى الإيمان، وهذا رأي الإمام البخاريّ رحمه الله في ذلك، وقد تقدّم الكلام على هذه المسألة.

قوله في الحديث حدثنا مسدد هو ابن مسرهد بن مسربل وقد تقدّم الخبر عنه، روى له البخاريّ دون مسلم، وإسماعيل هو إبراهيم بن عُليّا وحديثه في الكتب السِّتَّة، وقوله: أخبرنا أبو حيان التيمي وهو يحيى بن حيان الكوفي حديثه مُخَرَّجٌ في الكتب السِّتَّة، عن أبي زرعة وهو ابن عمرو البجلي وقد تقدم، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

بَابٌ

حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ حَمْزَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِّ بْنِ عَبْدِ اللهِّ؛ أَنَّ عَبْدَ اللهِّ بْنَ عَبَّاسٍ، أَخْبَرَهُ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ، "أَنَّ هِرَقْلَ، قَالَ لَهُ: سَأَلْتُكَ هَلْ يَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟ فَزَعَمْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ، وَكَذَلِكَ الإِيمَانُ حَتَّى يَتِمَّ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟ فَزَعَمْتَ أَنْ لَا، وَكَذَلِكَ الإِيمَانُ حِينَ تُخَالِطُ بَشَاشَتُهُ القُلُوبَ لاَ يَسْخَطُهُ أَحَدٌ".

.....

هذا الباب متعلق بالباب السابق، وثبت في بعض روايات البخاريّ ولم يثبت فيها وهو مكمّل له – سواء ثبت لفظ الباب أم لم يثبت –.

---

(١) آل عمران: ٨٥.

قوله: حدثنا إبراهيم بن حمزة وهو إبراهيم بن حمزة بن محمد بن مصعب بن عبد الله بن الزبير، قال: حدثنا إبراهيم بن سعد وإبراهيم بن سعد هو إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، عن صالح وهو ابن كيسان عن ابن شهاب محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله هو ابن عتبة بن مسعود، وهؤلاء تقدّموا، أنّ عبد الله بن عباس أخبره قال: أخبرني أبو سفيان وهو أبو سفيان بن حرب؛ أنّ هرقل قال له: "سألتك هل يزيدون أم ينقصون؟ فزعمتَ أنّهم يزيدون" يعني أهل الإيمان "وكذلك الإيمان حتى يتمّ" فهنا أثبتَ أنّ الإيمان يزيد بعد نقصانه، وقد أقرّه ابن عباس رضي الله تعالى عنه ونقل ذلك ولم يُنقض، وأيضًا سمى قال: "وسألتك هل يرتد أحد سخطة لدينه بعد أنْ يدخل فيه؟" ففيه إيمان ودين، فسمى الدينَ إيمانًا؛ فدَلَّ هذا على أنّ الإيمانَ يطلق عليه دين وأنّ الإسلام يطلق عليه دين؛ إذن الإسلام والإيمان شيء واحد، هذا وجهُ تقريرِه.

بَابُ فَضْلِ مَنِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ

- حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ، حَدَّثَنَا زَكَرِيَّا، عَنْ عَامِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «الحَلاَلُ بَيِّنٌ، وَالحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى المُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ: كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلاَ إِنَّ حِمَى اللهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ».

.....

قال: "بابٌ: فضلُ مَن استبرأ لدينه" والاستبراء للدين هو طلب البراءة للدين، وقد بَيّنَ النَّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم ذلك، وطلبُ البراءة يكون باتّقاء الشبهات التي قد تورث الوقوعَ في المحرمات، وذَكَرَ قال النَّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم: "فمن اتّقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومَن وقع في الشبهات فقد وقع في الحرام" هذه الجملة مفهومها أنّ مَن لم يتّق الشبهات فقد عَرّض دينَه للدنس والشَّين وهذا هو معنى نقصان الدين، ومَن استبرأ للدين بمعنى أنّه حفظه فإنّه يكون قد حفظه مِن الدنس والشَّين إذن هذا هو زيادة

الإيمان، فذَكَرَ بعضُ العلماء أنّ هذا الباب لبيان زيادة الإيمان ونقصانه، وبعضهم أيضًا ذَكَرَ أنّ هذا متعلق بمكملات الإيمان لأننا قلنا: الإيمان فيه شيء يتعلق بأصله، وفيه شيء يتعلق بكماله الواجب، وفيه شيء يتعلق بكماله المستحب، وهذا على خلاف هل هو كمال واجب أو كمال مستحب؟ على الخلاف بين العلماء في مسألة اتقاء الشبهات هل هو مستحب أو واجب؟ فإذا قلنا: إنّه مستحب كان هذا مِن مكملات الإيمان المستحبة، وإن قلنا: إن اتّقاء الشبهات واجب - كما هو قول طائفة مِن العلماء -؛ فإنّ كمال الإيمان الواجب لابُدّ أنْ يكون معه الاستبراء للدين وهو الورع وترك ما يشبته على الإنسان.

أما الإسناد فأبو نُعيم هو الفضل بن دكين، قد خرّج له الشيخان، وزكريا هو ابن أبي زائدة وقد خرّج له أصحاب الكتب السِّتَّة، وعامر هو الشعبي.

بَابٌ: أَدَاءُ الخُمُسِ مِنَ الإِيمَانِ

- حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الجَعْدِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي جَمْرَةَ، قَالَ: كُنْتُ أَقْعُدُ مَعَ ابْنِ عَبَّاسٍ يُجْلِسُنِي عَلَى سَرِيرِهِ، فَقَالَ: أَقِمْ عِنْدِي حَتَّى أَجْعَلَ لَكَ سَهْمًا مِنْ مَالِي؟ فَأَقَمْتُ مَعَهُ شَهْرَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ القَيْسِ لَمَّا أَتَوُا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنِ القَوْمُ؟ - أَوْ مَنِ الوَفْدُ؟ -» قَالُوا: رَبِيعَةُ. قَالَ: «مَرْحَبًا بِالقَوْمِ، أَوْ بِالوَفْدِ، غَيْرَ خَزَايَا وَلاَ نَدَامَى»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا لاَ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَأْتِيكَ إِلَّا فِي الشَّهْرِ الحَرَامِ، وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ هَذَا الحَيُّ مِنْ كُفَّارِ مُضَرَ، فَمُرْنَا بِأَمْرٍ فَصْلٍ نُخْبِرْ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا وَنَدْخُلْ بِهِ الجَنَّةَ، وَسَأَلُوهُ عَنِ الأَشْرِبَةِ: فَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ، وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ، أَمَرَهُمْ: بِالإِيمَانِ بِاللهِ وَحْدَهُ، قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللهِ وَحْدَهُ» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ المَغْنَمِ الخُمُسَ» وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنِ الحَنْتَمِ وَالدُّبَّاءِ وَالنَّقِيرِ وَالمُزَفَّتِ "، وَرُبَّمَا قَالَ: «المُقَيَّرِ» وَقَالَ: «احْفَظُوهُنَّ وَأَخْبِرُوا بِهِنَّ مَنْ وَرَاءَكُمْ».

.....

هذا الحديث تفرّد به البخاريّ دون مسلم، وقوله: حدثنا علي بن الجعد هو علي بن عبيد الجوهري خَرَّجَ له البخاريّ ولم يُخَرِّج له مسلم، قال: أخبرنا شعبة عن أبي جمرة هو نصر بن عمران الضبعي، قال: كنت أقعد

مع ابن عباس، وهذا في زمن ولاية ابن عباس رضي الله عنه للبصرة، كان نصر بن عمران الذي هو أبو جمرة مترجم ابن عباس رضي الله عنه يبلغ عنه.

قوله "بابٌ: أداء الخُمُس مِن الإيمان" والمراد به أداء الخُمُس مِن الغنيمة لأنّ الغنيمة تُخَمّس، فأداء الخُمُس منها مِن الإيمان، والشاهد منه أنّ النَّبيَّ صلّى الله عليه وسلّم لمّا قال: أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ ذَكَرَ جملة مِن الأشياء ومِن ضمنها "وأنْ تُعطوا مِن المغنم الخُمُس" إذن إعطاء الخُمُس مِن المغنم مِن الإيمان – وهذا عمل –؛ فدَلَّ ذلك على أنّ الأعمال مِن الإيمان.

بَابٌ

مَا جَاءَ إِنَّ الأَعْمَالَ بِالنِّيَّةِ وَالحِسْبَةِ، وَلِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَدَخَلَ فِيهِ الإِيمَانُ، وَالوُضُوءُ، وَالصَّلاَةُ، وَالزَّكَاةُ، وَالحَجُّ، وَالصَّوْمُ، وَالأَحْكَامُ، وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾[1] عَلَى نِيَّتِهِ. «نَفَقَةُ الرَّجُلِ عَلَى أَهْلِهِ يَحْتَسِبُهَا صَدَقَةٌ» وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ».

– حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْلَمَةَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وَقَّاصٍ، عَنْ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَلِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ».

– حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مِنْهَالٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عَدِيُّ بْنُ ثَابِتٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ يَزِيدَ، عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا أَنْفَقَ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِهِ يَحْتَسِبُهَا فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ».

– حَدَّثَنَا الحَكَمُ بْنُ نَافِعٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَامِرُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ؛ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا، حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فَمِ امْرَأَتِكَ».

.....

(١) الإسراء: ٨٤.

قال: "باب ما جاء أنّ الأعمال بالنية والحسبة، ولكل امرئ ما نوى" النية معروفة، والحسبة ذَكَرَ بعضُ أهل العلم أنّها معطوفة على النية مِن باب عطف المترادفَين، وبعض أهل العلم يقول: إنّ النية هي الإخلاص، والحسبة هي طلب الأجر والثواب مِن الله تعالى على الفعل، قال البخاري: "فدخل فيه الإيمان والوضوء" إلى آخر ما ذكر، أي فدخل في ما تقدّم وهو "قوله الأعمال بالنية ولكل امرئ ما نوى" دخل فيه الإيمان، ولعل البخاريّ رحمه الله يشير إلى ما قدمنا ذِكْرَه عن السلف أنّهم يذكرون أنّ الإيمان قول وعمل ونية، وما ذكره المؤلف "الإيمان والوضوء والصلاة" وغيرها مِن الأحكام هذه أعمال والأعمال مِن الإيمان، فلا يكفي العمل بدون نية، لأنّ النية يراد هنا معناها الإخلاص لله تعالى في العمل، وقد ذكرنا فيما سبق وجهَ ارتباطها بالإيمان.

ابن بطّال يقول: إنّ هذا الباب أراد به المؤلف الرَّدّ على المرجئة بأنّ الإيمان قول باللسان دون القلب! فبيّن أنّ الإيمان ليس هو فقط مجرد القول! وإنّما أيضًا هو متعلق بالقلب وهو إخلاص الدين لله تعالى، وهذا أيضًا قول يرجع إلى ما تقدّم عن السلف مِن قولهم: إنّ الإيمان قول وعمل ونية.

وقوله قال الله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾[1] قال البخاري: "على نيته" هذا أحد التأويلين في الآية، وقد فسر الآية بما فسَّر به البخاريّ جماعةٌ مِن السلف كقتادة والحسن وغيرهما، ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ يعني أنّ العمل مرتبط بالنية، وقال: "نفقة الرجل على أهله يحتسبها صدقة" وهذه الجملة هي جزء مِن حديث ابن مسعود الذي ساقه المؤلف بإسناده كما سيأتي إنْ شاء الله، وقوله: "ولكن جهاد ونية" أي وقال النَّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم، وقد ثبت ذلك في بعض النسخ، وهذا جزء مِن حديث أسنده المؤلف في كتاب الحج وفي كتاب الجهاد وفي كتاب الجزية وأسنده أيضًا الإمام مسلم في صحيحه مِن حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنه: "لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية".

ثم قال: حدثنا عبد الله بن مسلمة وهو القعنبي، قال: أخبرنا مالك عن يحيى بن سعيد وهو الأنصاري، عن محمد بن إبراهيم وهو التيمي، عن علقمة بن وقاص الليثي، وذَكَرَ الحديثَ المشهور وقال: "الأعمال بالنيات، ولكل امرئ ما نوى" وقوله: "الأعمال بالنيات" يدخل فيها الإيمان لأنّ الإيمان – كما تقدّم – باب

(١) الإسراء: ٨٤.

"قول مَن قال: إنّ الإيمان هو العمل" وذكرنا أنّ السلف يقولون: إنّ الإيمان هو العمل والعمل هو الإيمان، فهو داخل الأعمال، وأيضًا وفي قوله "ولكل امرئ ما نوى" يدخل فيها الإيمان.

ثم ذَكَرَ قال: حدثنا حجاج بن منهال وهو الأنماطي السُّلَمي، خَرَّجَ له أصحاب الكتب السِّتَّة، قال: حدثنا شعبة قال: أخبرنا عدي بن ثابت وهو الأنصاري مُخَرَّجٌ له في الكتب السِّتَّة، قال: سمعت عبد الله بن يزيد وهو الخطمي الأنصاري وهو صحابي، عن أبي مسعود وهو عقبة بن عمرو البدري وأيضًا صحابي، وهو مِن رواية الصحابي عن الصحابي قال: "إذا أنفق الرجل على أهله يحتسبها فهي له صدقة" وهذا الحديث أيضًا خَرَّجَه مسلم في صحيحه، والحديث الذي قَبْلَه كذلك خَرَّجَه مسلم في صحيحه، هذه اللفظة "إذا أنفق الرجل على أهله يحتسبها فهي صدقة" هي التي ذكرها المؤلف في صدر الباب، فهنا رتب الثواب - وهو الأجر - على الاحتساب يطلب أجرَها، والأجر إنما هو مرتب على الإيمان، فدَلَّ ذلك على أنّ العمل لا ينال الإنسانَ أجرُه وثوابُه إلّا إذا كان بنية.

ثم قال: حدثنا الحكم بن نافع وهو أبو اليمان الذي روى عنه كثيرًا، قال: أخبرنا شعيب وهو ابن أبي حمزة عن الزهري، قال: حدثني عامر بن سعد وهو ابن سعد بن أبي وقاص عن سعد، أنه أخبره أنّ رسول الله قال: "إنَّك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجهَ الله إلّا أُجِرْتَ عليها؛ حتى ما تجعل في فِيِّ امرأتك" وهذا الحديث أيضًا خَرَّجَه مسلم، والإسناد تقدم كثيرًا، ووجه الشاهد منه ظاهر لأنه قال: "تنفق نفقة تبتغي بها وجهَ الله" فدَلَّ ذلك على ارتباط الأعمال بالنية، والأعمال - كما قلنا - مِن الإيمان؛ فدَلَّ على ارتباط الإيمان بالنية؛ وأنّ الإيمان قول وعمل ونية.

بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ: للهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ».

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا نَصَحُوا للهِ وَرَسُولِهِ﴾[1].

- حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ إِسْمَاعِيلَ، قَالَ: حَدَّثَنِي قَيْسُ بْنُ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: «بَايَعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى إِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ».

---

(١) التوبة: ٩١.

- حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ زِيَادِ بْنِ عِلاَقَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ يَقُولُ يَوْمَ مَاتَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ، قَامَ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: عَلَيْكُمْ بِاتِّقَاءِ اللهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَالوَقَارِ، وَالسَّكِينَةِ، حَتَّى يَأْتِيَكُمْ أَمِيرٌ، فَإِنَّمَا يَأْتِيكُمُ الآنَ، ثُمَّ قَالَ: اسْتَعْفُوا لِأَمِيرِكُمْ، فَإِنَّهُ كَانَ يُحِبُّ العَفْوَ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْتُ: أُبَايِعُكَ عَلَى الإِسْلاَمِ فَشَرَطَ عَلَيَّ: «وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ» فَبَايَعْتُهُ عَلَى هَذَا، وَرَبِّ هَذَا المَسْجِدِ إِنِّي لَنَاصِحٌ لَكُمْ، ثُمَّ اسْتَغْفَرَ وَنَزَلَ.

.....

هذا هو آخر باب في كتاب الإيمان مِن صحيح الإمام البخاريّ وفيه "باب قولِ النَّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم: الدين النصيحة لله ولرسوله وللأئمة المسلمين وعامتهم" وهذا لفظ حديث تميم الداري رضي الله عنه الذي خَرَّجَه الإمام مسلم ولم يورده الإمام البخاريّ رحمه الله لكونه قد يكون ليس على شرطه وإلّا فالإمام البخاريّ قد صحح هذا الحديث في غير الصحيح؛ لكنه لم يُخَرِّجه لأنه ليس على شرطه، قال: "وقول الله تعالى: ﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[1] " لأنّ الآية: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، ما مراد البخاريّ مِن هذا التبويب؟ الذي ذكره ابن بطال والعيني وابن حجر أنه أراد بيانَ أنّ الدين يطلق على العمل لكونه سمى النصيحةَ دينًا؛ فدَلَّ ذلك على أنّ الدين هو الإيمان والعمل مِن الإيمان، لكن إذا نظرنا إلى النصيحة وما ذكره العلماء رحمهم الله في بيانها وتعريفها وتفصيلها وشرحها وجدنا أنها ليست قاصرة على العمل! فمثلًا ذكروا أنّ النصيحة لله محبتُه وتعظيمُه وإجلالُه والجهادُ في سبيله ونشرُ دينه إلى آخره، وهذه فيها أعمال جوارح وفيها أعمال قلوب وفيها اعتقادات وذكروا أيضًا اعتقادَ وحدانيته وعدم مماثلة غيره له في أسمائه وصفاته واعتقاد كماله بذاته وأسمائه وصفاته[2]، هذه كلها شيء يرجع إلى الاعتقاد، وشيء يرجع إلى أعمال الجوارح، وشيء يرجع إلى أعمال القلوب، فيمكن انْ يكون المؤلف رحمه الله ختم بهذا لبيان انَّ الدين هو الإيمان؛ وأنّ هذا الإيمان يأتي على الأعمال كلها - على الاعتقادات وعلى الأقوال وعلى أعمال الجوارح وأعمال القلوب -، ويمكن أنْ يكون

(١) التوبة: ٩١.

(٢) جملة غير واضحة.

هذا مراد المؤلف، ويمكن أنْ يكون المراد بملاحقة هذا الباب "الدين النصيحة" المراد بها شيء خاص مِن النصيحة والاتِّبَاع لأنه ذَكَرَ الآية: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[1] والنصيحة لله ورسوله تكون بطاعة الله ورسوله لأنّ هؤلاء تخلفوا عن الجهاد! لكن تخلفوا لعذر فعَذَرَهم اللهُ بشرط أنْ يطيعوا الله ورسوله، فيمكن أنْ يكون هذا دليل على ما ذكره بعض العلماء مِن أنّ الإيمان قول وعمل ونية وسُنَّة يعني اتباع، قد يكون هذا، وقد يكون ما ذكره أهل العلم فيما تقدم ذِكْرُه أنّ المراد أنّ الإيمان دين والدين يطلق على العمل وهو النصيحة، لكن قَصْر النصيحة على العمل فقط في نظري أنه محل نظر! ولكنّ النصيحة عامة تشمل أعمال القلوب وأعمال الجوارح والأقوال والإرادات.

ثم ذَكَرَ قال: حدثنا مسدد قال: حدثنا يحيى وهو ابن سعيد القطان، عن إسماعيل وهو ابن أبي خالد البجلي وقد تقدم، قال: حدثنا قيس بن أبي حازم وهو البجلي الكوفي وهو مخضرم أدرك النَّبيَّ صلّى الله عليه وسلّم ولم يره وكان مؤمنًا به، وحديثه في الكتب التسعة.

قال: "بايعتُ رسول الله على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم" هذا يَدُلُّ على القول وعلى العمل، ويمكن أنْ يدخل في النصح لكل مسلم ما يتعلق بأعمال القلوب وإراداتها.

ثم قال: حدثنا أبو النعمان وهو محمد الفضل السدوسي المعروف بعارم، وحديثه مُخَرَّج في الكتب السِّتَّة قال: حدثنا أبو عوانة وهو الوضاح اليشكري، وحديثه مُخَرَّج في الكتب السِّتَّة، عن زياد بن عِلاقة وهو ابن مالك الثعلبي وحديثه مُخَرَّج أيضًا في الكتب السِّتَّة، ثم ذَكَرَ حديثَ جرير سمعتُ جرير بن عبد الله يقول يوم مات المغيرة بن شعبة قام فحمد الله وأثنى عليه إلى آخر الحديث وفيه الشاهد "قلتُ: أبايعك على الإسلام؟ فشرط عليَّ والنصح لكل مسلم" النصح هنا تكون قد معطوفة على "أبايعك على الإسلام" ويصح أنْ تكون في الفتح أيضًا والتقدير يعني "وأشرط عليك الإسلام والنصيحة"، هذا الحديث خَرَّجَه الإمام مسلم أيضًا في صحيحه.

وقوله "والنصح لكل مسلم" هذا هو موضع الشاهد، وقد تقدَّم بيانُه في الحديث الذي قبله.

---

(١) التوبة: ٩١.

وبهذا يتم كتاب الإيمان لصحيح الإمام البخاريّ رحمه الله.

نسأل الله عزّ وجلّ أنْ ينفعنا وإياكم بما سمعنا، وأنْ يغفر للمؤلف جزاء ما قدَّمه على الإسلام، لكن ما ينبغي التنبيهُ عليه هو أنّ الإنسانَ يحرص على معرفة عقيدة أهل السُّنَّة في هذا الباب، وهي عقيدة قد حكى أهلُ العلم قديمًا الإجماعَ عليها، يعني ليست هي وليدة وليست أمرًا طارئًا! هي مسألة قديمة، جاءت حكاية الإجماع على مذهب أهل السُّنَّة بها قديمًا، وقد حكى مذهب أهل السُّنَّة والجماعة وإجماعَهم عليها الإمام الشافعي رحمة الله عليه والإمام أحمد وأبو ثور وأبو عمر الطلمنكي وابن عبد البرّ والبغوي وجماعات، ذكروا إجماعَ أهل السُّنَّة على هذه العقيدة.

إذا عُرِفَ ذلك فإنّ الإمام البخاريّ رحمه الله قد أوضح هذه العقيدة وبَيّنَها بهذه التبويبات التي ذَكَرَها.

وفق اللهُ الجميعَ لِمَا يُحب ويرضى، وصلّى الله وسلّم على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.